المعاناة الفلاشية وانعكاساتها فى الشعر العبرى الحديث

ديوان جادى يفرقان نموذجاً

تمهيد

طرأ موضوع الفلاشا على الساحة الفكرية منذ عهد غير بعيد، وهم يهود إثيوبيا الذين اختلفت الأراء وتباينت بشأن جذورهم وموطنهم الأول، وزمن ظهورهم على خريطة الحبشة، بل وأعدادهم، والرأى الراجح أنهم من قبيلة آجاو الحبشية، ظهروا على الخريطة قبل الإسلام، وأن عددهم ليس كبيراً كما يدعى المهتمون بشئونهم فى إسرائيل، فهى طائفة مجهولة وعلى قدر كبير من الغموض، وساعد على الجهل بها تلك الطبيعة الإثيوبية، حيث البيئة الرعوية. فإثيوبيا تمتاز بجبالها ومراعيها. وهذه السمات ساعدت على عدم قيام حضارة يمكنها أن تساعد على تقدم الوعى الثقافى والبيئى من خلاله يتسنى إعداد الإحصائيات والمعلومات الكافية عن تلك المناطق وسكانها. إضافة إلى أنها تساعد على جهل العالم بتاريخ سكان هذه المناطق لعدم وجود وثائق أو آثار أو منشأت تاريخية تشير إلى ذلك.[1]

وقد سعت إسرائيل إلى تهجيرهم إليها فى القرن الماضى لعدة أسباب منها:

[1] مريم جمال الدين فوزى، يهود الفلاشا فى القص العبرى الحديث، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2005، ص 18

1- أن هذه الطائفة ستسهل على إسرائيل جمع التبرعات وتدرأ عنها صفة العنصرية.

2- أن نضوب مصادر الهجرة لإسرائيل وزيادة الهجرة العكسية جعلها تتجه نحو تلك الطائفة الفقيرة التى تعيش عيشة مضنية فى إثيوبيا، الأمر الذى سيؤدى بدوره إلى زيادة التعداد السكانى لإسرائيل؛ لتصبح قوة طاردة للسكان العرب. حيث يصبح الفلاشا هم خط الدفاع الأول عن إسرائيل فى مواجهة العرب عن طريق انتشارهم فى الأراضى العربية المحتلة- التى لا يفضل الغربيون سكناها- وسكنى المستوطنات فى المناطق الحدودية والمناطق المحتلة من جنوب لبنان.

3- أن إسرائيل فى حاجة ماسة إلى مثل هذه العمالة الرخيصة والمتدنية والتى ستقوم أيضاً بأعمال الفلاحة. وقد سهل تخلفهم الحضارى والثقافى والانحطاط الاقتصادى اللعب بعقولهم.[1]

وبعد وصول الفلاشا لإسرائيل وجدوا أنفسهم داخل بوتقة الصهر العنصرية. حيث لاقوا صنوفاً من العذاب على أيدى الإسرائيليين الذين درجوا على التعامل العنصرى مع يهود الشرق عامة ومن بينهم الفلاشا الذين لا يفرقوا عنهم سوى فى لون البشرة فقط.

جادى يفرقان والوضع الفلاشى فى إسرائيل

ومن بين أدباء الفلاشا الذين قدموا لإسرائيل من استغل قلمه للتعبير عن آلام تلك الطائفة فى إسرائيل بعد تحطم أحلامها على أرض الواقع. يأتى "جادى يفرقان" "גדי יברקן" وهو الاسم الإسرائيلى لذلك الشاعر الفلاشى- واسمه الحقيقى هو "دسطاو" "דסטאו".[2]

---

[1] أنظر د.عبد الوهاب المسيرى،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،المجلد الثانى،ص 163،162
وكذلك صلاح عبد اللطيف،الفلاشا– الخيانة والمحاكمة،القاهرة،مكتبة مدبولى،1986،ص 30
وكذلك د.محمد جلاء إدريس،يهود الفلاشا– أصولهم ومعتقداتهم وعلاقاتهم بإسرائيل، القاهرة،مكتبة مدبولى،1993ص 157، 173
وكذلك زاهر رياض، تاريخ إثيوبيا، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966، ص 14

[2] من مواليد إثيوبيا قدم إلى إسرائيل مع أسرته عام 1991 وكان عمره حينئذ تسع سنوات. فى البداية أقامت أسرته فى طبرية ثم انتقلت إلى الخلدة. تلقى تعليمه فى المدرسة الداخلية مكافى إسرائيل وانهى تعليمه المتوسط. التحق فى الجيش بلواء جفعاتى. وأرسل مؤخراً للحصول على دورة ضباط والتى اجتازها بنجاح. وبعد خدمته العسكرية بدأ فى دراسة القانون فى كلية الإدارة. واليوم هو ناشط اجتماعى من قبل الطائفة الإثيوبية فى إسرائيل.
إنترنت library.osu.edu

حظى "جادى" بمديح رئيس الحكومة الإسرائيلى الأسبق "شمعون بيريس" والذى قال عن أشعاره أنها تفوح بشذى "يهودا اللاوى" و"ابن جبيرول" لزخمها بالشوق والحزن والأمل.[1]

ورغم سذاجة الأشعار التى نظمها "جادى يفرقان" وميلها إلى الطفولية إلا أنها تثير الاهتمام وتمس القلب أحياناً.[2] وقد سعى الشاعر لتسخير قلمه ليصبح لسان حال الفلاشا من خلال تدوينه لمجموعة من الأشعار جمعها فى ديوانه الذى أطلق عليه "מתחיל מהתחלה"[3] "أبدأ من البداية" وهو فى أوائل العقد الثانى من عمره.

وقد عبر هذا الديوان عن الكثير من معاناة الفلاشا خلال هجرتهم لإسرائيل بل وبعد الهجرة فضلاً عن الإحباط الذى أصابهم مما لاقوه من بنى جلدتهم الذين سبق وأن صوروا لهم إسرائيل بأنها تلك الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً!! وأهدى "جادى" فى الصفحة الأولى من مجموعته الشعرية لمن ماتوا من الصهاينة فى الطريق لإسرائيل ولم يحظوا برؤية صهيون.[4]

أقسام الديوان

وتضمن ديوانه الشعرى هذا ثمانى وأربعين قصيدة، قسمها "جادى يفرقان" إلى ثلاث مجموعات مختلفة فى الموضوع لكنها مترابطة من حيث الفكرة مسلسلة من حيث ترتيب الأحداث، وكأنها حبات عقد واحد. فهو يعبر بداية عن الفلاشا وطريق الهجرة لإسرائيل والصعاب التى اجتازوها خلاله، ثم ينتقل إلى مرحلة الاستيعاب داخل المجتمع الإسرائيلى بعد الهجرة، ليختتمها بالخواطر التى لم يبق للفلاشى إلا أن يحملها بداخله لربما تسنح له الفرصة للتعبير عن هذه الخواطر التى تجيش بها نفسه.

وهذه المجموعات الثلاث هى:

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה,תל-אביב,2003

[2] הרצוג, עמרי. נרתמים למען ציון והופכים לחילים. הארץ, תרבות וספרות,28 בנובמבר 2003, עמ' ה 4.

[3] שם

[4] שם

1- "תלאות הדרך" "مشاق الطريق": تضم تسع قصائد تتناول ما لاقاه الفلاشا فى طريق هجرتهم من ألوان العذاب حيث اللصوص والطرق الملتوية وفقدان الأهل والضعف والوهن، وهذه القصائد هى: "המסע" "الرحلة" و"בא אדם ללכת" "جاء رجل للسير" و"גיבורי המסע" "أبطال الرحلة" و"לבד בין גופות האחים" "وحيداً بين جثث الإخوة" و"שיחה בין אם לבנה" "حديث بين أم وابنها" و"משקל נוצה על משקל דל" "وزن ريشة على وزن خفيف" و"זעקות הילדה" "صرخة الطفلة" و"שם במדבר" "هناك فى الصحراء" و"יזכור" "صلاة الذكرى".

2- "קליטה?" "الاستيعاب؟": تضم أربع عشرة قصيدة تتناول وضع الفلاشا فى إسرائيل حيث فقدان الذات والبيت، كذا نظرة التحقير والامتهان والتهميش التى لاقوها من المجتمع الإسرائيلى مما جعلهم يخجلون من ماضيهم. كما يتناول "جادى" قضية تغيير الأسماء وطمس الهوية فى إسرائيل وصعوبة استيعاب اللغة العبرية. كل هذه الأمور دفعت به وبالفلاشا بأسرهم إلى الشوق إلى الماضى واعتباره أفضل من الحاضر. وهذه القصائد هى: "גשם של דמעות" "فيض من الدموع" و"זכוכית ראווה" "فاترينة" و"שלום לתמימות" "سلام للسذاجة" و"תנו לי לדבר" "اسمحوا لى أن أتكلم" و"שמות רבים" "أسماء عديدة" و"בורות" "جهل" و"חושך בתוך אור" "ظلام وسط النور" و"דם יהודי זועק" "دم يهودى يصرخ" و"חלום ציוני" "حلم صهيونى" و"סגד"[1] "سيجد" و"געגועים" "أشواق" و"ילדות יפה" "طفولة جميلة" و"מתחיל מהתחלה" "أبدأ من البداية" و"אחות יקרה" "أخت غالية".

3- "הגיגים" "خواطر": تضم خمساً وعشرين قصيدة تناولت خواطر عديدة منها مناجاة للقدس والسأم من الدماء التى تسفك فى أرض الميعاد والعلاقات السيئة التى يتسم بها

---

[1] عيد هاسيجد חג הסיגד وهو من بين الأعياد الخاصة بالفلاشا، وهو ذكرى نزول التوراة فى سيناء ويصعدون فيه إلى الجبل فى اليوم الخامس والعشرين من شهر حشوان.
أنظر מנחם ולדמן,יהודי אתיופיה–עדת"ביתא ישראל",ירושלים,ג'וינט ישראל,1985,עמ' 40
وكذلك מנחם ולדמן,מאתיופיה לירושלים–יהודי אתיופיה בעת החדשה, ירושלים, משרד החינוך והתרבות,1992, עמ' 39
وأيضاً חגי ארליך-הגר סלמון–וסטיבן קפלן,אתיופיה–נצרות אסלאם יהדות, האוניברסיטה הפתוחה, 2003, עמ' 337
وأيضاً د.محمد جلاء إدريس،يهود الفلاشا–أصولهم ومعتقداتهم وعلاقاتهم بإسرائيل، القاهرة، مكتبة مدبولى، 1993ص 117 :119

المجتمع الإسرائيلى وتعجب من حب الحروب وعجلة الزمن والكسل وبغض الفقر والربيع والسعادة والحرية وشكر الرب وصدق القلب والحب ولوعته حتى حب الأم. وهذه القصائد هى: "גלי לי את סודך" "اكشفى لى سرك" و"קחי אותי ציפור יפה" "خذنى أيها الطائر الجميل" و"חברים" "أصدقاء" و"כשהוא אמר" "عندما قال" و"בשביל מה?" "من أجل ماذا؟" و"מהו כאב?" "ما هو الألم؟" و"לאן הולכים כל הימים" "إلى أين تذهب الأيام كلها" و"תקשיב ללב שלך" "انصت لقلبك" و"עצלנות" "الكسل" و"עולם" "عالم" و"הזמן הנצחי" "الزمن الأبدى" و"עוני" "الفقر" و"אהבה" "الحب" و"לב שבוי" "قلب مسلوب" و"ביום בו פגשתך" "يوم لاقيتك" و"פנטזיה" "خيال" و"בודד" "منعزل" و"נפלאות האהבה" "معجزات الحب" و"תפילה" "دعاء" و"אהבת אם" "حب أم" و"אביב" "ربيع" و"שמחה קטנה גדולה" "سعادة صغيرة كبيرة" و"עוד יבואו ימים של תהילה" "ستأتى أيام البهجة" و"חופש והצלחה" "حرية ونجاح" و"תודה לאלוהים" "شكراً للرب".

وقد عرض "جادى يفرقان" فى ديوانه للعديد من أوجه المعاناة التى لاقاها الفلاشا بداية من الهجرة من إثيوبيا ووصولاً إلى فلسطين والعيش فى أحضان المجتمع الإسرائيلى.

ولسوف ينقسم بحثنا إلى جزءين، أولهما: المعاناة أثناء الهجرة من إثيوبيا وصولاً إلى إسرائيل، وثانيهما: المعاناة بعد الهجرة والوصول..

أولاً: المعاناة أثناء الهجرة

وهى مرحلة الهجرة لإسرائيل التى كانت تستهدف الأقوياء فقط؛ لذا تركت إسرائيل الفلاشا يخوضون تلك الرحلة الشاقة وسط الجبال والغابات وقطاع الطرق والوحوش المفترسة مع الجوع والعطش. حيث مات فى الطريق إلى السودان أكثر من أربعة آلاف شخص.[1] وقد تناول "جادى يفرقان" فى هذه المرحلة كل معاناة الفلاشا خلال طريق

[1] קמון ע' (עורך),הגשר הראשון– עדותם של חניכים יהודים יוצאי אתיופיה מכפר בתיה,ירושלים,יד טבנקין,1996,עמ' 73
وكذلك מיכאל קורינאלדי,יהדות אתיופיה זהות ומסורת, ירושלים, ראובן מס בע"ם,1988, עמ' 189

الهجرة لذلك الوطن الذى كانوا يتوسمون فيه خيراً. وقد تناول خلال هذه المجموعة العديد من الأفكار التى تناولت صنوف العذاب التى ألمت بالفلاشا فى الطريق لإسرائيل:

عزلة الفلاشا

رأى "جادى" أنه لربما يكون من الأجدر به أن ينوه إلى تلك العزلة التى عاشها الفلاشا فى إثيوبيا بعيداً عن إخوانهم اليهود، إذ ربما يلفت ذلك النظر إلى مدى الشوق الذى كان يجيش به قلب الفلاشى للقاء إخوانه اليهود فى إسرائيل. فقد استهل "جادى يفرقان" أول أبيات ديوانه وفى قصيدته الأولى "الرحلة" بالحديث عن تلك العزلة:

הִתְבּוֹדַדְנוּ אַלְפֵי שָׁנִים, הַרְחֵק מִכָּאן, שָׁם בְּאַפְרִיקָה.[1]

(إنعزلنا آلاف السنين، بعيداً عن هنا، هناك فى أفريقيا)

ولم يتكرر هذا المعنى مرة أخرى وكأنه استهلال واجب لابد وأن يبدأ به هذا الديوان حتى يوضح ماهية الفلاشا باختصار. وكأن هذا الأمر أيضاً ليس ببغيته المنشودة فى هذه المجموعة الشعرية.

ثم ينطلق بعد ذلك إلى البيت الذى يليه والذى يعبر فيه عن أن هذه العزلة كان ولابد أن تنتهى فقد حان الوقت للم الشمل من جديد والذى عبر عنه من خلال قوله:

וְעַד שֶׁיּוֹם אֶחָד בָּא הָאוֹת לַעֲזוֹב אֶת אֶתְיוֹפְיָה[2]

(وحتى جاءت فى يوم الإشارة لترك إثيوبيا)

لكنه يرى أن لم هذا الشمل لن يتم إلا فى القدس

לְצָעוֹד לִירוּשָׁלַיִם.[3] (للهجرة إلى القدس)

معاناة الفلاشا كجزء من معاناة اليهود

يتمثل "جادى" فى ديوانه التاريخ اليهودى القديم، فرحلة الفلاشا من أثيوبيا إلى فلسطين وما مر بهم من معاناة تشبه رحلة بنى إسرائيل تحت قيادة موسى عليه السلام من مصر إلى فلسطين عبر سيناء من حيث وعورة الطريق ونقص الزاد والمعارك التى خاضوها،

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 7
[2] שם, עמ' 7
[3] שם, עמ' 7

بل إنها تشبه هجرات اليهود فى العصر الحديث أيضاً إلى فلسطين. الأمر الذى يؤكده "جادى" من خلال حديثه عن:

1- وعورة الطريق

لم يكن طريق الهجرة لإسرائيل بالطريق المفروش بالورود تحت أقدام الفلاشا بل إن الأشواك كانت أرحم مما لاقاه الفلاشا فى طريقهم لإسرائيل وهو ما يعبر عنه "جادى يفرقان" بعرضه لبعض تلك المخاطر التى ألمت بالفلاشا فى طريق الهجرة لإسرائيل.

فنجده يلخص مصاعب الطريق فى وصفه له فى قصيدة "صلاة الذكرى" بأنه ليس بطريق:

יָמִים וְלֵילוֹת בִּדְרָכִים לֹא דְרָכִים[1] (أيام وليال فى طرق لا تعد طرقاً)

وربما يقصد هنا أن هذه الطرق التى سلكها الفلاشا لم تكن بالطرق السوية التى يعرفها البشر ويسيرون فيها لأنها غير ممهدة ولما يحفها من المخاطر والتى تتمثل فى اللصوص وحيوانات البرية وما إلى ذلك، لكن كان لابد أن يسلكوا تلك الطرق المجهولة حتى لا ينكشف أمرهم.

كما أنه يصفه بالطريق الطويل فى قصيدة "جاء رجل للسير":

בָּא אָדָם לָלֶכֶת דֶּרֶךְ אֲרֻכָּה וּמְיַסֶּרֶת.[2] (جاء رجل للسير فى طريق طويل ومؤلم)

وفى القصيدة نفسها يقول:

כִּי הוּא נִסָּה לָלֶכֶת בְּדֶרֶךְ אֲרֻכָּה (لأنه حاول السير فى طريق طويل

שֶׁשּׁוּם אָדָם לְפָנָיו לֹא הִגִּיעַ לִקְצָהּ.[3] لم يصل أى شخص إلى نهايته)

فهو يؤكد على فكرة أن هذا الطريق غير السوى لا يطأه الناس لما به من مخاطر ومن سبق وسار فيه لم يصل إلى نهايته.

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 17
[2] שם, עמ' 8
[3] שם, עמ' 8

هذه الطريق الوعرة التى يصفها "جادى" أشبه بتلك الطريق التى سار فيها موسى عليه السلام خلال رحلة الخروج من مصر ببنى إسرائيل، وبتلك أيضاً التى سار فيها يهود العصر الحديث خلال هجراتهم إلى فلسطين- حسب الرؤية اليهودية.

2- اللصوص

حيث سطا اللصوص على الفلاشا وسلبوهم كل متاعهم. وهو ما عبر عنه فى قصيدة "الرحلة":

בַּדֶּרֶךְ שׁוֹדְדִים אוֹתָנוּ תָּקְפוּ, (فى الطريق سلبنا اللصوص

שׁוּם דָּבָר לֹא הִשְׁאִירוּ. لم يتركوا أى شىء

אֶת רְכוּשֵׁנוּ הֵם לָקְחוּ[1] أخذوا كل أموالنا)

وموضوع اللصوصية هذا أمر طبيعى فى تلك الطرق النائية التى يتجنب الناس السير فيها.

وقد يمثل اللصوص هنا تلك المعارك التى خاضها بنى إسرائيل، فاعتداء اللصوص على القوافل كان ينجم عنه معارك تفضى إلى خسائر فى أرواح الفلاشا.

3- نقص الزاد

حمل الفلاشا معهم فى طريقهم زاد ذلك الطريق، وهو ليس إلا زاداً زهيداً فقيراً يعكس وضعهم المادى فى إثيوبيا. ففى قصيدة "الرحلة" فيقول:

כָּל הַיְלָדִים מְצַיָּדִים בְּמֵימְיוֹת שֶׁל מַיִם.

.....אוֹכֶל אָכַלְנוּ מֵהַמַּצּוֹת שֶׁהָאִמָּהוֹת אָפוּ.[2]

(الأولاد جميعهم مزودون بزمزميات المياه

.....أكلنا من خبز الفطائر التى خبزتها الأمهات)

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 7

[2] שם, עמ' 7

وهذا الزاد الزهيد لم ينجم عنه إلا وهن أجساد الفلاشا والذى تعكسه قصيدة "وزن ريشة على وزن خفيف" حيث مدى وهن أجساد الفلاشا التى شبهها بوزن الريشة والوزن الخفيف:

מִשְׁקַל נוֹצָה דַּל מִמַּיִם וְדַל מִמָּזוֹן דַּל מִבָּשָׂר

מִשְׁקַל דַּל שֶׁל אִשָּׁה עִם פָּנִים נְפוּלוֹת נוֹשֵׂא אִתּוֹ

מִשְׁקַל נוֹצָה.

מִשְׁקַל נוֹצָה בְּקֶשׁ בַּקָּשָׁה גְּדוֹלָה,

מַיִם בְּבַקָּשָׁה אָמַר בְּקוֹל חַלָּשׁ, מִשְׁקַל נוֹצָה[1]

(وزن ريشة فقير من الماء والغذاء واللحم

وزن هزيل لامرأة تحمل وجه غائر

وزن ريشة.

طلب وزن الريشة مطلب عظيم،

ماء من فضلك، قال وزن الريشة بصوت واهن)

والشاعر يصور هنا مطلب وزن الريشة للماء بالمطلب العظيم حيث ندرة ماء الشرب فى هذا الطريق، فقد افتقر الفلاشا فى طريقهم إلى الماء والغذاء بل إلى اللحم الذى يكسو أجسادهم أيضاً، فهم ليسوا إلا أجساداً يكسو الجلد فيها العظم.

لكن هذا الزاد الزهيد كان بالأمر الطبيعى بالنسبة للفلاشا، فهم لم يعرضوا أنفسهم لهذه المشاق إلا هرباً من وضعهم المادى المتردى فى إثيوبيا، فقد كانوا يعانون من الفقر الشديد فى إثيوبيا وبالتالى فإن هذا الفقر لم يكن ليمكنهم من التزود بأجود زاد.

كذلك فإن نقص الزاد يؤكد على فكرة تمثل "جادى" التاريخ اليهودى القديم، بل يؤكده صراحة عندما يذهب "جادى يفرقان" لأبعد من ذلك حيث صور هذا الزاد وكأنه المن الذى نزل على بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر. وفى هذا تشبيه صريح لخروج

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 14

الفلاشا من إثيوبيا بخروج بنى إسرائيل مع سيدنا موسى عليه السلام من مصر وكأنها رحلة مقدسة، فهذا الطفل الذى فقدته أمه فى قصيدة "حديث بين أم وابنها" يحفز أمه على النهوض ومواصلة الطريق ويشد من أزرها رافعاً من عزيمتها يحثها على تناول الطعام الذى صوره فى صورة المن والذى سيكون له مفعول السحر حيث سيقوى ليس فقط من عزيمتها بل من جسدها لتكمل مسيرتها:

קוּמִי, כְּבָר בוֹקֶר, וְתאכְלִי קְצָת מִן הַמָּן (انهضى حل الصباح وكلى القليل من المن

שֶׁגּוּפֵךְ יִתְחַזֵּק לַמַּסָּע שֶׁל הַמָּחָר[1] سيقوى جسدك من أجل رحلة الغد)

4- ضحايا الطريق

لابد وأن يكون لهذا الطريق الشاق العديد من الضحايا، وهو ما يؤكده جادى يفرقان حيث تكرار ذكره لهؤلاء الضحايا الذين سقطوا فى الطريق لصهيون. وهو فى هذا يتمثل القصيدة المشهورة التى نظمها "ח"נ ביאליק"حاييم نحمان بيالك"[2] بعنوان "מתי המדבר" "موتى الصحراء" التى يصف فيها رحلة خروج بنى إسرائيل من مصر فى عصر موسى، ويذكر فيها ما لاقوه من أهوال أثناء الرحلة للدرجة التى انقلب عليه فيها المهاجرون من بنى إسرائيل، هذا فضلاً عن قصيدة "מתי המדבר האחרונים" موتى الصحراء المتأخرون" التى يعرض فيها للهجرات اليهودية من مختلف دول العالم إلى فلسطين فى العصر الحديث، وما لاقوه من عنت وعقبات- من وجهة نظره- أثناء تلك الهجرة... وهو ما يؤكد توحد الرؤية الصهيونية بين "جادى يفرقان" والشعر الصهيونى الحديث.

ففى قصيدة "الرحلة" ذكر عدد هؤلاء الضحايا بقوله:

אֲלָפִים בַּדֶּרֶךְ טָמַנּוּ.[3] (دفنا الآلاف فى الطريق)

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 12

[2] أبرز شعراء الأدب العبرى الحديث، نودى به شاعراً قومياً لإسرائيل الحديثة وسار اسمه علماً على جيل كامل من الأدباء. أطلقوا عليه الشاعر القومى وأمير الشعراء العبريين الأحياء. ولد عام 1873 فى بولندا وتوفى عام 1934 فى فيينا ودفن فى فلسطين.
د.زين العابدين محمود أبو خضرة، تاريخ الأدب العبرى الحديث، القاهرة، 2006، ص 121: 126

[3] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 7

فقد دفن الفلاشا آلاف الضحايا الذين سقطوا فى الطريق. وتجدر الإشارة إلى مدى التقارب بين هذا البيت وبين ما ذكره "بياليك" فى قصيدة "موتى الصحراء المتأخرون" حيث يقول:

וּבַחוֹל טָמַנּוּ שִׁשִּׁים רִבּוֹא סְגָרִים. "ودفنا فى الرمال آلافاً مؤلفة"[1]

وفى قصيدة "جاء رجل للسير" يشير إلى هؤلاء الضحايا فى صورة ذلك الرجل الفلاشى الذى سار فى هذا الطريق الشاق حتى سقط فيه:

הָלַךְ הָאָדָם בַּדֶּרֶךְ הַמְיַסֶּרֶת (سار الرجل فى الطريق المؤلم

עַד שֶׁנָּפַל וְקוֹלוֹ נָדַם עַל הַדֶּרֶךְ[2] حتى سقط وسكت صوته على الطريق)

وفى قصيدة "أبطال الرحلة" يعبر أيضاً عن ضحايا الطريق وآمالهم:

גִּבּוֹרִים לְלֹא חֲלוֹם.

גִּבּוֹרִים לְלֹא קבורה

גִּבּוֹרִים שֶׁמִּלָּתָם הָאַחֲרוֹנָה הָיְתָה צִיּוֹן הַקְּדוֹשָׁה[3]

(أبطال بلا حلم

أبطال بلا قبر

أبطال آخر كلماتهم كانت صهيون المقدسة)

فهؤلاء الأبطال فى نظره سقطوا فى الطريق دون حلمهم الذى لازالوا يرددونه حتى النفس الأخير، ولم ينالوا حقهم فى الدفن.

وهو يذكر هنا بغيتهم التى هاجروا من أجلها وماتوا دونها وهى صهيون المقدسة التى كانت آخر ما لفظه لسانهم قبل موتهم. ويكرر أيضاً كلمة صهيون فى آخر بيتين حيث يصف هؤلاء الأبطال بأنهم أبطال صهيون والذين ماتوا أيضاً دون دفن:

---

[1] د.زين العابدين محمود أبو خضرة، صورة مصر فى الأدب العبرى الحديث، القاهرة، 2003، ص 39: 40

[2] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 8

[3] שם, עמ' 9

גִּבּוֹרֵי צִיּוֹן לְלֹא קְבוּרָה,

גִּבּוֹרִים שֶׁנֶּעֶזְבוּ בְּצִדֵּי הַדֶּרֶךְ בִּמְדִינָה זָרָה.[1]

(أبطال صهيون بلا قبر

أبطال تركوا على جنبات الطريق فى دولة غريبة)

كما يؤكد أيضاً على فكرة أن هؤلاء الموتى لم يحظوا بحقهم بعد الموت حيث طقوس الدفن وهو ما يكرره فى القصيدة نفسها:

גִּבּוֹרִים שֶׁנִּטְמְנוּ בְּצִדֵּי הַדֶּרֶךְ בִּמְדִינָה זָרָה,

גִּבּוֹרִים שֶׁלֹּא הִתְאַבְּלוּ עֲלֵיהֶם

וְלֹא יָשְׁבוּ עֲלֵיהֶם שִׁבְעָה,[2]

(أبطال دفنوا على جنبات الطريق فى دولة غريبة

أبطال لم يلبسوا السلاب عليهم

ولم يجلسوا عليهم سبع)

غير أنه يشير هنا إلى أن هؤلاء الضحايا قد دفنوا على جنبات الطريق.

وكذلك فى قصيدة "وحيداً بين جثث الإخوة"

כְּשֶׁהוּא מִסְתַּכֵּל יָמִינָה, רוֹאֶה גּוּפַת אִישָׁה (حينما ينظر إلى اليمين يرى جثة امرأة

כְּשֶׁהוּא מִסְתַּכֵּל שְׂמאלָה רוֹאֶה גּוּפַת גֶּבֶר, حينما ينظر إلى اليسار يرى جثة رجل

כְּשֶׁהוּא מִסְתַּכֵּל אָחוֹרָה רוֹאֶה גּוּפַת נַעַר حينما ينظر إلى الوراء يرى جثة فتى

כְּשֶׁהוּא מִסְתַּכֵּל קָדִימָה, רוֹאֶה גּוּפַת יַלְדָּה[3] حينما ينظر إلى الأمام يرى جثة فتاة)

فهو يعبر هنا عن مدى كثرة الضحايا فى صورة أن الموتى يحيطون به من كل مكان عن اليمين والشمال والأمام والخلف فالناظر حوله لا تقع عينيه إلا على موتى.

كما أنه يحاول أن يجد له طريق بين جثث الموتى، وهى صورة أيضاً مختصرة ومعبرة ترسم مدى كثرة هؤلاء الضحايا:

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 9

[2] שם, עמ' 9

[3] שם, עמ' 10

מְפַלֵּס לוֹ דֶּרֶךְ בֵּין גּוּפוֹת הַמֵּתִים[1] (يمهد لنفسه طريقاً بين جثث الموتى)

كما أن هذه الأم أيضاً فى قصيدة "حديث بين أم وابنها" قد فقدت طفلها فى هذا الطريق

אִמָּא: אֲנִי אִמֵּךְ בְּנִי, כּוֹאֶבֶת אֶת מוֹתֵךְ (الأم: أنا أمك يا ولدى، أتألم لموتك

..... גּוּפָתְךָ קְבוּרָה מִתַּחַת לְמִטָּתִי[2] .....جثتك مدفونة تحت سريرى)

فهذه الأم التى ثكلت طفلها تتألم لموته وتشير إلى أن مقبرة ولدها تقع تحت سريرها.

ولم يكن طفلها بفقيدها الوحيد بل سائر عائلتها أيضاً:

אַל תִּדְאֲגִי אִמָּא, הִגַּעְתִּי אֶל מִשְׁפַּחְתֵּךְ (لا تقلقى يا أمى وصلت إلى أسرتك

פָּגַשְׁתִּי אֶת אַבָּא וְאֶת אָחִי הַגָּדוֹל قابلت أبى وأخى الكبير

גַּם אֲחוֹתִי נִמְצֵאת פֹּה أختى أيضاً موجودة هنا

גַּם הַדּוֹדָה וְהַסַּבְתָּא הָאֲהוּבָה[3] وكذلك الخالة والجدة الحبيبة)

فهذه الأم فقدت أيضاً زوجها وابنها البكر وابنتها وأختها وأمها.

وفى قصيدة "وزن ريشة على وزن خفيف" يتحدث عن موت الرجل والمرأة فيقول

מִשְׁקַל נוֹצָה עַל מִשְׁקַל דַּל שֶׁל אִשָּׁה (وزن ريشة ووزن هزيل لامرأة

נָפְלוּ אַרְצָה לְעוֹלָם[4] سقطوا أرضاً للأبد)

كما أنه يتناول صورة هؤلاء الضحايا فى قصيدة "هناك فى الصحراء"

שָׁם בַּמִּדְבָּר נִשְׁאֲרוּ לִי אַחִים (هناك فى الصحراء بقى لى أخوة

שָׁם בַּמִּדְבָּר הֵם קְבוּרִים, مدفونون هناك فى الصحراء

שָׁם בַּשְּׁבִיל פְּזוּרִים עַצְמוֹתֵיהֶם, هناك فى الطريق تتناثر عظامهم

לְלֹא קְבוּרָה. دون أن تدفن

לְלֹא שֵׁם. بلا اسم

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 10
[2] שם, עמ' 11
[3] שם, עמ' 11
[4] שם, עמ' 14

לְלֹא מִסְתּוֹר לְגוּפָם.[1] دون ساتر لأجسادهم)

فهو يرسم صورة لذلك الذى فقد فى الصحراء أخوة له تركوا على جنبات الطريق دون دفن فعظامهم متناثرة لا تحمل اسم يدل عليهم.

وتجدر الإشارة إلى مدى التشابه بين عنوان هذه القصيدة" هناك فى الصحراء" وعنوان قصيدة "حاييم نحمان بيالك" "موتى الصحراء".

بل ذكر "جادى" أيضاً أن هؤلاء الضحايا فريسة لحيوانات البرية والطيور الجارحة فى قصيدة "صرخة الطفلة" حيث:

בּוֹלְטִים שְׂרִידֵי הַיַּלְדָּה בֵּין שְׂרִידֵי הַיְּהוּדִים (ظاهرة بقايا الطفلة بين بقايا اليهود

קוֹרְצִים לְחַיּוֹת מִדְבָּר וּלְעוֹפוֹת שָׁמַיִם تومئ لحيوانات البرية ولطيور السماء

שֶׁמֵּעַל שִׁלְדֵי הַיַּלְדָּה חָגִים.[2] الذين يحتفلون فوق هيكل الطفلة العظمى)

وهو يصور لنا مدى سعادة هذه الحيوانات والطيور الجارحة بتلك الفرائس السهلة حتى أنها أقامت حفلاً حول هذه الوليمة.

ويذهب "جادى يفرقان" لأبعد من ذلك حيث يطلب من هذه الحيوانات والطيور الجارحة أن تحافظ على أجساد هؤلاء الفلاشا الأموات فى قصيدة "هناك فى الصحراء":

בַּקָּשָׁה לִי אֲלֵיכֶם, (أطلب منكم

חַיּוֹת מִדְבָּר וְעוֹפוֹת שָׁמַיִם, يا حيوانات البرية وطيور السماء

חוּסוּ עֲלֵיהֶם, חוּסוּ עַל שְׂרִידֵיהֶם.[3] حافظوا عليهم حافظوا على بقاياهم)

ويقول "جادى يفرقان" إن الموت لم يفرق بين كبير وصغير وهو ما ذكره فى قصيدة "أبطال الرحلة":

הַגּוֹרָל הִכָּה בָּהֶם מִזָּקֵן וְעַד טַף לְלֹא אַבְחָנָה.[4]

(صفعهم المصير دون أن يميز بين العجوز والرضيع)

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 16
[2] שם, עמ' 15
[3] שם, עמ' 16
[4] שם, עמ' 9

لكنه يعود فى قصيدة " صلاة الذكرى"- التى يختتم بها هذه المجموعة وكأنه وبعد سرد تلك الصعاب التى مرت بالفلاشا لا يملك سوى تلك الصلاة التى يتلوها اليهود لذكرى موتاهم- ليقول إن الموتى هم الضعفاء فقط:

יָמִים עוֹבְרִים, וּמִסְפָּרָם פּוֹחֵת מֵרֶגַע לְרֶגַע

זְמַנָּם תַּם לְחַלְקֵי הַמַּסָּע[1]

(تمر الأيام وعددهم فى تناقص من لحظة لأخرى

انقضى زمن ضعاف الرحلة)

وفى هذا تأكيد على أنه لم يصل إلى إسرائيل سوى الأقوياء الذين استطاعوا التغلب على تلك المشاق وتحدوا الصعاب حتى وصوا إلى بغيتهم المنشودة، وهذا ما كانت تبتغيه إسرائيل فهؤلاء الذين خططوا لجلب الفلاشا إلى إسرائيل لم يكونوا فى حاجة إلا لهؤلاء الأقوياء الذين يمكنهم القيام بتلك المهام التى جُلبوا من أجلها.

ولم يكن الموتى هم كل ما فقده الفلاشا فى الطريق بل هناك ثروات وأرواح بل جزء من جسد هؤلاء الأحياء فقد فى الطريق وهو ما يعبر عنه فى قصيدته "هناك فى الصحراء":

שָׁם בַּמִּדְבָּר יֵשׁ לִי אוֹצָר (هناك فى الصحراء لدى عزيز غال

שָׁם בַּמִּדְבָּר נִשְׁאַר מַשֶּׁהוּ שֶׁשַּׁיָּךְ לִי (هناك فى الصحراء بقى من يخصنى

שָׁם בַּשְּׁבִיל קָבוּר מַשֶּׁהוּ שֶׁשַּׁיָּךְ לִי هناك فى الصحراء مدفون من يخصنى

שָׁם בַּמִּדְבָּר קָבוּר חֵלֶק מִגּוּפִי.[2] هناك فى الصحراء مدفون جزء من جسدى)

ونجد أن "جادى" قد أكثر من سرد صور هؤلاء الضحايا الذين فقدهم الفلاشا فى الطريق لإسرائيل وربما يرمى بذلك إلى القول بأن هؤلاء الضحايا لا حصر لهم. غير أن عدد الفلاشا الذين راحوا خلال هجرتهم لإسرائيل- كما سبق ذكر ذلك- ليسوا آلافاً مؤلفة بل قرابة الأربع آلاف شخصاً.

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 17

[2] שם, עמ' 16

آمال الوصول

بالرغم من تلك المعاناة التى مر بها الفلاشا إلا أن "جادى يفرقان" يعدد فى معظم قصائد المجموعة الأولى تلك الآمال التى ظلت تراود الفلاشا وتحفزهم على تحدى الصعاب ففى قصيدة "الرحلة" يقول:

עִם כָּל זאת לא הִפְסַקְנוּ (رغم كل ذلك لم نتوقف

הַשֵּׁם יְרוּשָׁלַיִם הִדְהֵד בְּמוֹחֵנוּ اسم القدس تردد فى عقلنا

שׁוּם דָּבָר לא עָזַר וְהַדֶּרֶך קָשְׁתָה עָלֵינוּ لم يساعد أى شىء والطريق صعُب علينا

פָּרַט לָאֱמוּנָה שֶׁבְּלִבֵּנוּ. عدا العقيدة التى فى قلبنا

הַמַּסָּע נִמְשַׁךְ עִם כָּל הַקְּשָׁיִים[1] استمرت الرحلة رغم كل الصعاب)

فالأمل فى الوصول إلى القدس والذى كانوا يحملونه بداخلهم والذى ظل يراودهم طوال الطريق جعلهم يجابهون كل تلك المخاطر التى مرت بهم. ولم يكن هذا هو حال كبار الفلاشا فقط بل كان الأطفال أيضاً يرفعون أيديهم إلى السماء داعين الرب أن يصلوا إلى بغيتهم المنشودة القدس. وكان لهذه الصلاة مفعول السحر فقد جعلت هؤلاء الصغار يتحدون الصعاب أيضاً فلم يعرفوا الخوف ولا الحدود التى توقفهم دون تحقيق بغيتهم:

אָנוּ הַיְלָדִים הֵרַמְנוּ יָדַיִם כְּלַפֵּי שָׁמַיִם (نحن الأولاد رفعنا أيدينا تجاه السماء

לְשֵׁם תְּפִילָה, שֶׁנַּגִּיעַ כֻּלָּנוּ לִירוּשָׁלַיִם. نصلى لنصل جميعاً إلى القدس

פַּחַד וַחֲרָדָה לא הִרְגִּשְׁנוּ, لم نشعرف بالخوف والجزع

גְּבוּלוֹת לא יָדַעְנוּ,[2] لم نعرف حدوداً)

ويكرر فى القصيدة نفسها صورة تحدى الصعاب والتى تمثلت هذه المرة فى ضحايا الطريق من الفلاشا فلم يثبط ذلك من عزيمتهم أو يفل فى عضدهم:

לא לא הִפְסַקְנוּ לִצְעוֹד, (لم نتوقف عن السير

עִם כָּל הַקָּרְבָּנוֹת, رغم كل الضحايا

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 7

[2] שם, עמ' 7

עִם כָּל הַקְּשָׁיִים رغم كل الصعاب

בַּדֶּרֶךְ לִירוּשָׁלַיִם.[1] فى الطريق للقدس)

وكذلك فى قصيدة "وحيداً بين جثث الإخوة" يكرر صورة تحدى الصعاب المتمثلة فى ضحايا الطريق وتغلبه عليه بالأناشيد والترانيم:

וְשָׁר שִׁירֵי הַלֵּל לִירוּשָׁלַיִם (وأنشد ترانيم المدائح للقدس

וְהַיֶּלֶד מַמְשִׁיךְ לְהִתְהַלֵּךְ בֵּין גּוּפוֹת הַמֵּתִים والولد مستمر فى السير بين جثث الموتى

עַל אֲדָמָה זָרָה וְעַל אֲדָמָה אֲרוּרָה.[2] على أرض غربية لعينة)

وتتجلى روح الرب فى قصيدة "صلاة الذكرى" لتشد من أزر الفلاشا وتقوى من عزيمتهم:

רוּחַ אֱלוֹהִים הִשְׁמִיעָה אֶת קוֹלָהּ (حلت العناية الإلهية

וְזָרְתָה בָּהֶם תִּקְוָה לְשׁוֹרְדֵי הַמַּסָּע ونثرت الأمل داخل الناجين من الرحلة

כֻּלָּם קָמוּ עַל רַגְלֵיהֶם וְהִמְשִׁיכוּ הָלְאָה.[3] قام الجميع على أرجلهم وأكملوا بعد ذلك)

فروح الرب جاءت فى وقتها فقد كانت كالسحر، تشد من أزر الفلاشا وتحفزهم على إكمال المسيرة.

ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط بل ذهب "جادى يفرقان" ليجعل من هؤلاء الموتى محفزاً ومشجعاً للفلاشا الأحياء لمواصلة طريقهم. فهذا الطفل فى قصيدة "حديث بين أم وابنها" يشجع أمه على مواصلة الطريق:

נַגְבִי דְּמְעוֹתַיִךְ, הַיִי חֲזָקָה אִמִּי

הַמְשִׁיכִי בַּמַּסָּע בִּשְׁבִילֵךְ, בִּשְׁבִיל כֻּלָּם וּבִשְׁבִילִי

..... וְעַכְשָׁיו אִמָּא הַמְשִׁיכִי בַּמַּסָּע

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 7
[2] שם, עמ' 10
[3] שם, עמ' 17

אַתְּ קְרוֹבָה מִתָּמִיד אֶל צִיּוֹן הַקְּדוֹשָׁה[1]

(جففى دمعك وكونى قوية يا أمى

أكملى الرحلة من أجلك ومن أجل الجميع ومن أجلى

.....والأن أكملى يا أمى الرحلة

أنت أقرب من ذى قبل إلى صهيون المقدسة)

بل إن الموتى يرون موتهم عاد عليهم بالنفع حيث رأوا صهيون من أعلى وهو ما يقوله هذا الطفل الميت لأمه التى تحلم به:

וְעוֹד דָּבָר אִמָּא, הִגְשַׁמְתִּי חֲלוֹם בְּמוֹתִי	(أمر آخر يا أمى، حققت حلماً بموتى
עַל צִיּוֹן מִלְמַעְלָה הִסְתַּכַּלְתִּי	نظرت إلى صهيون من أعلى
כה יָפָה וְזוֹהֶרֶת צִיּוֹן כִּפְנִינָה	جميلة جداً ومشرقة صهيون كاللؤلؤة
זוֹ הִיא בֶּאֱמֶת צִיּוֹן הַקְּדוֹשָׁה?[2]	هذه حقاً هى صهيون المقدسة)

وكأن هذا الفلاشى الذى مات فى الطريق لم يضيع حياته هباءً بل نال شرف رؤية صهيون أيضاً من السماء. بل حظوا برؤيتها قبل الأحياء.

غير أن هؤلاء الأموات رغم رؤيتهم لصهيون بعد موتهم إلا أنهم يرون مزية من بقى على قيد الحياة من الفلاشا فسوف يحظون برؤية صهيون فى الحقيقة:

אִמָּא אַל תִּבְכִּי, הֲלֹא אַתְּ תִּרְאִי אֶת יְרוּשָׁלַיִם הַקְּדוֹשָׁה

וְתָחוּשִׁי אוֹתָהּ, תְּנַשְּׁקִיהָ וְגַם תִּשְׁאִי תְּפִלָּה

תַּגְשִׁימִי אֶת חֲלוֹמֵנוּ, אַתְּ שֶׁנִּשְׁאַרְתְּ אַחֲרוֹנָה[3]

(لا تبك يا أمى ألن ترى القدس المقدسة

وتحسيها وتقبليها وتصلين

حققى حلمنا أنت يا آخر من بقى)

فهؤلاء الأموات يضعون آمالهم على الأحياء فى تحقيق حلم الفلاشا على أرض الواقع.

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 12

[2] שם, עמ' 11

[3] שם, עמ' 12

وختاماً لعرض المعاناة أثناء الهجرة نجد أن "جادى" قد تناول خلالها الهجرة لإسرائيل والصعاب التى مرت بهم على تلك الأرض الأجنبية.

ثانياً: المعاناة بعد الهجرة والوصول لإسرائيل

بعد انتهاء معاناة الفلاشا على تلك الأرض الأجنبية بدأت معاناتهم على أرض ذلك الوطن الذى تحدوا الصعاب من أجل الوصول إليه متوقعين أن يجدوه كما صُور لهم على أنه تلك الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً!!

وتختلف قصائد المجموعة الثانية كل منها عن الأخرى من حيث الفكرة التى تعبر عنها؛ لكن فى مجملها تعبر هذه القصائد عن تلك العقبات التى وقفت فى طريق انصهار الفلاشا داخل المجتمع الإسرائيلى:

اللقاء الأول مع يهود إسرائيل

عبرت أول قصيدة فى هذه المجموعة والتى تحمل عنوان "فيض من الدموع" عن اللقاء الأول بين الفلاشا وإخوانهم اليهود فى إسرائيل والتى نظر إليها الفلاشا على أنها بيتهم قبل أن يصلوا إليها. فهو يقول إنه أخيراً التقى بإخوته اليهود الذين لطالما سمع عنهم فى القصص والحكايات:

נָשַׁם שֶׁל דְּמָעוֹת זָלְגוּ מֵעֵינַי	(زرفت عينى فيضاً من الدموع
כְּשֶׁשַּׁבְתִּי אֶל בֵּיתִי	عندما عدت إلى بيتى
וְרָאִיתִי אֶת אַחַי, שֶׁשָּׁמַעְתִּי	ورأيت أخوتى الذين سمعت
עֲלֵיהֶם רַק בְּסִפּוּרִים.[1]	عنهم فى الحكايات فقط)

فقدان اللغة الأم واستبدالها بلغة أخرى

فى قصيدة "أبدأ من البداية" والتى أطلقها "جادى" على ديوانه هذا- تعبيراً عن مضمونه- نجد صورة الفلاشى الذى يرى نفسه كالوليد الذى يبدأ كل شىء من البداية.

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 21

فقد عبر عن مدى الإحساس بصعوبة تعلم اللغة العبرية فهو يعتبر ذلك وكأنه يولد من جديد ويتعلم لغة الكلام من البدء:

נוֹלַדְתִּי מֵהַתְחָלָה	(ولدت من جديد
אֲנִי תִּינוֹק כְּמוֹ בַּפַּעַם שֶׁעָבְרָה.	أنا رضيع كما كنت فى المرة الماضية
מַתְחִיל הַכֹּל מִבְּרֵאשִׁית	أبدأ كل شيء من البداية
לוֹמֵד שָׂפָה וְעוֹד שָׂפָה.[1]	أتعلم لغة بعد لغة)

هذا الوليد يشعر بالغربة داخل هذا العالم حديث العهد به فكل شيء مشوش بالنسبة له. غير أن الوليد يتعلم لغة واحدة هى التى تحدثه بها أمه أم هذا الفلاشى فعليه وهو فى المهد أن يتعلم لغة بعد أخرى وهو شاق عليه.

تغيير الأسماء

هذا الوليد لا بد وأن يمنحوه اسم يدعى به، ويعد ذلك من بين الإشكاليات التى تعرض لها الفلاشا بعد وصولهم لإسرائيل وهى إشكالية تغيير الأسماء. فالفلاشى بعد وصوله لإسرائيل يجبر على تغيير اسمه. أكبر دليل على ذلك "جادى يفرقان" الذى تغير اسمه فور وصوله إلى إسرائيل من "دسطاو" إلى "جادى". وهو ما عبر عنه جادى يفرقان فى قصيدة "أسماء عديدة" والتى يعبر عنوانها عن أنه فى إسرائيل لن يحمل اسماً ولا اسمين بل أسماء عديدة:

בַּגוֹלָה קָרְאוּ לִי יְהוּדוֹן	(فى المنفى دعونى يهودون
בְּאַרְצִי קוֹרְאִים לִי כּוּשׁוֹן	فى بلدى دعونى كوشون
בַּגוֹלָה קָרְאוּ לִי זָר.	فى المنفى دعونى أجنبى
בְּאַרְצִי קוֹרְאִים לִי מוּזָר[2]	فى بلدى دعونى غريب)

فقد لقبوه فى المنفى يهودون أى يهودى، وفى إسرائيل لقبوه كوشون أى كوشى كما نظروا إليه فى إثيوبيا على أنه أجنبى وفى إسرائيل نظروا إليه على أنه غريب. وهو

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 34
[2] שם, עמ' 25

بذلك يعبر عن تلك الغربة التى كان يعيشها فى إثيوبيا والتى انتقلت للعيش معه فى إسرائيل.

ويتعجب الشاعر من ذلك متسائلاً أين يذهب إن لم يكن إلى أرض صهيون ولمن يقول إن له اسماً يدعى به:

לְאָן אֲנִי אֵלֵךְ?	(إلى أين أذهب؟
אִם לֹא לְאַרְצִי צִיּוֹן.	إن لم يكن لبلدى صهيون
לְמִי אֲנִי אַסְבִּיר שֶׁיֵּשׁ לִי שֵׁם.	لمن أوضح أننى لدى اسم
וּשְׁמִי הוּא לֹא יְהוּדוֹן וְלֹא כּוּשׁוֹן	واسمى ليس يهودون ولا كوشون
שֶׁיִּקְרְאוּ לִי בִּשְׁמִי הַפְּרָטִי	ليدعوننى باسمى الشخصى
שֶׁנָּתְנוּ לִי אִמִּי וְאָבִי.[1]	الذى منحه لى أمى وأبى)

ويصل "جادى" إلى سبب وضعه هذا وهو لونه الأسود رغم كونه يهودياً:

לְאָן אֲנִי אֵלֵךְ?	(إلى أين أذهب؟
לְמִי אֲנִי אַסְבִּיר?	لمن أوضح؟
מִי יָבִין אֶת הֶסְבֵּרִי	من يفهم توضيحى؟
בִּהְיוֹתִי שָׁחוֹר יְהוּדִי?	لكونى أسود يهودى؟
וְשׁוּב מְבַקֵּשׁ שֶׁיִּקְרְאוּ לִי	ومرة أخرى أرجو أن ينادوننى
בִּשְׁמִי הַפְּרָטִי	باسمى الشخصى
שֶׁנָּתְנוּ לִי אִמִּי וְאָבִי.[2]	الذى منحه لى أمى وأبى.

فهذا السواد الذى يكسو جلده يأنفه اليهود. وينهى هذه الأبيات راجياً أن يدعوه باسمه الحقيقى الذى لقبه به أبواه منذ المهد.

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 25
[2] שם, עמ' 25

الاستيعاب

كان إستيعاب الفلاشا فى إسرائيل يمثل معضلة كبيرة بل وتحدياً أمام إسرائيل.[1] وهو ما تمثله المجموعة الثانية والتى تحمل عنوان "الاستيعاب؟" وكما نرى فقد أتبع "جادى" هذه الكلمة علامة استفهام وكأنه يتسائل عن معنى الاستيعاب. فقد كان من الطبيعى انصهار الفلاشا تلقائياً داخل المجتمع الإسرائيلى.

يصف "جادى يفرقان" فى قصيدة "فيض من الدموع" ما حدث معهم فى إسرائيل من حيث الاحتواء فى المأكل والملبس:

כִּבַּדְתִּי בְּהַכְנָסַת אוֹרְחִים	(كُرمت بالضيافة
בִּסְעוּדַת מַלְאָכִים, בִּבְגָדִים חֲדָשִׁים	بمائدة حافلة وبملابس جديدة
עַל-יְדֵי הָאַחִים הַמְאָרְחִים[2]	على يد الأخوة المضيفين)

مشاعر الاغتراب

لكن هذه الضيافة التى قوبلوا بها لا تنم عن أنهم أيضاً أصحاب بيت بل صُدم الفلاشا بعد وصولهم إلى إسرائيل التى كانوا ينظرون إليها كبيتهم لكنهم اكتشفوا أنهم ضيوف فى بيتهم، فلم يكن البيت إلا حلماً على أرض الواقع، وهو ما يعبر عنه فى قصيدة "فيض من الدموع":

לְרֶגַע נִדְמָה הָיָה חָזַרְתִּי אֶל בֵּיתִי	(لوهلة بدا لى أنى عدت إلى بيتى
אֲבָל הַכל הָיָה רַק חֲלוֹם בַּמְצִיאוּת.	لكن كل شىء كان حلماً على أرض الواقع
רָצִיתִי בַּיִת נִשְאַרְתִּי אוֹרֵיחַ בְּבֵיתִי[3]	رغبت فى بيت وبقيت ضيفاً فى بيتى)

وفى ختام هذه القصيدة يعبر "جادى" عن مدى الألم الذى اعتصره. ففى بداية القصيدة زرف الدمع عند لقائه إخوانه اليهود الذين كان يسمع عنهم فى الحكايات، وفى نهاية القصيدة زرف أيضاً الدمع لكن هذه المرة عندما وجد نفسه غريباً فى بيته:

גָשֶם שֶל דְמָעוֹת עָדַיִן זוֹלְגוֹת	(لازالت العين تزرف فيضاً من الدموع

[1] מלכה שבתאי,בין רגאיי לראפ–אתגר ההשתייכות של נוער יוצא אתיופיה בישראל,תל–אביב,צ'ריקובר,2001, עמ' 24
[2] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 21
[3] שם, עמ' 21

וְעֵינַי אַף פַּעַם לֹא מַפְסִיקוֹת לִבְכּוֹת.[1] ولم تتوقف عيناى عن البكاء)

الشعور بالعنصرية

يعود "جادى" معبراً عن فكرة الاغتراب مرة أخرى فى قصيدة "ظلام وسط النور". فإسرائيل ليست بيته، وهو يشعر بالغربة فيها بسبب لونه الأسود الذى يأنفه يهود إسرائيل:

מֵהַגּוֹלָה חָזַרְתִּי אֶל בֵּיתִי (من المنفى عدت إلى بيتى

אַךְ אֲנִכִי לֹא מַרְגִּישׁ שֶׁזֶּה בֵּיתִי لكننى لا أشعر أن هذا بيتى

כִּי אַחַי לֹא יְכַבְּדוּנִי כְּפִי שֶׁאֲנִי. لأن إخوتى لا يحترموننى كما أنا

וְאֲנִכִי שׁוֹנֶה מֵהֶם בְּצֶבַע עוֹרִי.[2] وأنا أختلف عنهم بلون بشرتى)

أى أن مشاعر الاغتراب التى انتابته هنا نبعت من الشعور بالعنصرية التى ألهبت ظهور الفلاشا. فقد تعرضوا فى إسرائيل لتفرقة عنصرية فاقت كل حد. ولم يكن الفلاشا يتوقعون مثل ذلك المصير ممن ادعوا إخوتهم وعلى دينهم. فقد كانت معاملة الأمهرا المسيحيين للفلاشا أكثر تسامحاً وكرماً من معاملة اليهود. فقد شعروا ولأول مرة أنهم أقلية سوداء وسط جماعة بيضاء تدين باليهودية مثلهم، فلم يشعروا بسواد بشرتهم إلا حينما وصلوا إلى إسرائيل، مما أصابهم بأزمة نفسية أدت إلى انتحار بعض الفلاشا، حيث قدر عدد المنتحرين منهم منذ عملية موسى وحتى سنة ألفين بحوالى 50 فلاشياً من أصل عشرين ألف وصلوا لإسرائيل، أى خمسة أضعاف حالات الانتحار بين يهود إسرائيل. وتمثلت العنصرية اليهودية التى تعرض لها الفلاشا فى إسرائيل فى العديد من الأمور منها على سبيل المثال لا الحصر عند توطين الفلاشا رفض بعض حكام المدن توطين الفلاشا ضمن سكانها. إضافة إلى أن السكان اليهود أنفسهم رفضوا أن يقيموا إلى جوار الفلاشا، وعمدوا على إهانتهم بشكل مستمر، وحاولوا جرح الفلاشا تهكماً منهم ليروا ما إذا كانت الدماء التى تجرى فى عروقهم سوداء أم حمراء مثل سائر دم اليهود،

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 21
[2] שם, עמ' 27

ومحاولة معرفة ما إذا كانت بشرتهم السوداء هذه طبيعية أم لا. كذلك رفض الحاخامية الإسرائيلية فى حالات كثيرة إتمام مراسم الزيجات المختلطة بين الفلاشا والإسرائيليات. وفى الخدمة العسكرية لاقى شباب الفلاشا الازدراء والعنصرية والاحتقار والامتهان سواء من زملائهم اليهود أو من قادتهم أو ممن يتعاملون معهم من المدنيين. ومثال على تلك العنصرية أن الشرطة الإسرائيلية كانت تلقى القبض على أى فلاشى تقابله، بدعوى أنه ليس هناك يهودى أسود. وكان لذلك أثره السلبى أيضاً على الفلاشى مما جعل الشعور بالغربة يزداد بداخله.[1]

وهو ما يؤكد عليه "جادى يفرقان" فى ديوانه حيث يتوالى بعد ذلك وصف وضع الفلاشا السىء فى إسرائيل. فهو يصف الفلاشى بالجرو الموضوع داخل فترينة، والذى يعد من أجمل ما وصف به الوضع الفلاشى فى إسرائيل، فالفلاشى حسب رؤية الشاعر ليس إلا حيوان أليف لكنه صغير أيضاً لا يمكنه أن يحرك ساكناً أو أن يدافع عن نفسه. ونرى ذلك فى قصيدته الثانية من هذه المجموعة والتى تحمل عنوان "فاترينة":

כְּמוֹ גּוּר קָטָן כָּלוּא (كجرو صغير حبيس

בְּתוֹךְ זְכוּכִית רַאֲוָה[2] فى فاترينة)

فهذا الجرو الحبيس يشاهد العالم حوله من داخل الفترينة وليس فى مقدوره أن يحرك ساكناً:

רוֹאֶה אֶת הָעוֹלָם. (أرى العالم

אַךְ לֹא לִטְעוֹם מִמֶּנּוּ لكن دون تذوقه

---

[1] للمزيد عن العنصرية الإسرائيلية تجاه الفلاشا راجع: مريم جمال الدين فوزى، يهود الفلاشا فى القص العبرى الحديث
وكذلك د.محمد حافظ يعقوب،الذاكرة والإقتلاع–فالاشا إثيوبيا التاريخ الأسطورة والمنفى،عكا،مؤسسة الأسوار، 1999
وكذلك د.عبد الوهاب المسيرى،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية
وكذلك גדי בן עזר,כמו אור בכד–עלייתם וקליטתם של יהודי אתיופיה,ירושלים,ראובן מס' בע"ם,1992
וכذلك אריאל אריאלי–גילת יצחק–צפפה אייצק,התאבדות יהודי אתיופיה:סקר אוטופסיה פסיכולוגית "הרפואה", 127,ג-ד(אוגוסט 1994)
وكذلك יגאל צור, שזיף שחור,הקיבוץ המאוחד
وكذلك גד שמרון,הביאו לי את יהודי אתיופיה,ישראל,הד ארצי,1998
وكذلك רבקה איזיקוביץ',על גבולות תרבותיים וביניהם:עולים צעירים בישראל,ירושלים,רמות–אוניברסיטה –תל–אביב
وكذلك מלכה שבתאי,בין רגאיי לראפ–אתגר ההשתייכות של נוער יוצא אתיופיה בישראל

[2] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 22

מְנַסֶּה לִפְרוֹץ אֶל הָעוֹלָם — يحاول الانطلاق نحو العالم

עִם הֲמוֹן רָצוֹן וְהַרְבֵּה אֱמוּנָה — بفيض من الرغبات والكثير من اليقين

אַךְ לֹא יָכוֹל כִּי הַזְּכוּכִית דַּי חֲזָקָה.[1] — لكن لا يستطيع لأن الزجاج قوى جداً)

فهذا الفلاشى المتمثل فى صورة الجرو يكبر لكن الفترينة أيضاً كبيرة مما يدفع بـ"جادى يفرقان" للتعجب من حاله، فهل نمى وكبر ليظل جرو حبيس داخل فترينة يشاهد العالم من خلالها دون أن يكون له دور فيها؟

עוֹבְרוֹת הַשָּׁנִים וַאֲנִי גָּדֵל בְּתוֹכָהּ — (تمر السنوات وأنا أنمو بداخله

עַד שֶׁאֲנִי נִהְיֶה גָּדוֹל. — حتى صرت كبيراً

אַךְ הַזְּכוּכִית גַּם גְּדֵלָה — لكن الزجاج آخذ فى النمو أيضاً

הַאִם זֶה הַחַיִּים וְלָזֶה אֲנִי נִבְנֶה? — هل هذه هى الحياة ولذلك عشت

לִרְאוֹת אֶת הַחַיִּים דֶּרֶךְ זְכוּכִית רַאֲוָה?[2] — لأرى الحياة من خلال فاترينة)

وتكمل قصيدة "اسمحوا لى أن أتكلم" الصورة نفسها، فهذا الفلاشى مسلوب حق الكلام، فلديه الكثير عن الماضى يريد أن يرويه وعن الحاضر يريد أن يتحدث عنه فهو إنسان يريد الكلام ولا يمكنه السكوت والتحمل أكثر من ذلك:

תְּנוּ לִי לְדַבֵּר. גַּם לִי יֵשׁ מַה לוֹמַר — (اسمحوا لى أن أتكلم. فلدى ما أقوله أيضاً

עַל הַהֹוֶה וְהַרְבֵּה עַל הֶעָבָר — عن الحاضر والكثير عن الماضى

דְּבָרִים שֶׁהִתְבַּצְּרוּ בְּלִבִּי זְמַן רַב. — أشياء استحكمت فى قلبى زمناً طويلاً

כִּי אֲנִי רַק בֶּן אָדָם — لأننى إنسان

וְלֹא יָכוֹל לִסְבֹּל יוֹתֵר.[3] — ولا يمكننى التحمل أكثر من ذلك)

ويعبر عن مدى الألم الذى يعتصر قلبه للوقوف صامتاً دون كلام يعبر به عن نفسه:

תְּנוּ לִי לְדַבֵּר. גַּם לִי יֵשׁ מַה לוֹמַר. — (اسمحوا لى أن أتكلم. فلدى ما أقوله أيضاً

כִּי לִי כּוֹאֵב הַלֵּב — لأن الألم يعتصر قلبى

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 22

[2] שם, עמ' 22

[3] שם, עמ' 24

כְּשֶׁאֲנִי שׁוֹתֵק וְדָבָר לֹא אוֹמֵר. عندما أسكت ولا أقول شيئاً

לִבִּי פָּצוּעַ וּמְדַמֵּם כְּבָר זְמַן רַב. قلبى جريح وينزف منذ زمن بعيد

כִּי הַשְׁתִיקָה הַמָּרָה הָפְכָה לִי לְרוֹעַ.[1] لأن السكوت المرير عاد على بالويل)

ويطلب من يهود إسرائيل أن يأتوا إليه ليحدثوه فقد أصبح يخشى الكلام:

אֲבַקֵּשׁ שֶׁתָּבוֹאוּ לְבָרֵר (أرجو أن تأتوا لأستفسر

אוּלַי כָּךְ אַתְחִיל לְדַבֵּר. ربما هكذا أبدأ التحدث

תְּנוּ לִי לְדַבֵּר כִּי גַּם לִי זֶה כּוֹאֵב اسمحوا لى أن أتكلم لأن هذا يؤلمنى أيضاً

כְּשֶׁאֵינֶנִּי מְדַבֵּר וּפוֹחֵד לְדַבֵּר.[2] حينما لا أتحدث وأخشى التحدث)

غير أن هناك من الأبيات التى دونها الشاعر ما يعد الأكثر تعبيراً عن مشاعر الاغتراب وصعوبات الاندماج الفلاشى فى المجتمع الإسرائيلى، وهى تلك التى أتى بها فى قصيدة "أبدأ من البداية". فالشاعر لا يرى بدأ لهذا الوليد عن التكيف مع ذلك المجتمع حديث العهد به:

מִסְתַּגֵּל לְחֶבְרָה מוּזָרָה (أساير مجتمعاً غريباً

וְעוֹד פַּעַם הַכֹּל מִתְבַּלְבֵּל לִי ومرة أخرى كل شىء مضطرب بالنسبة لى

וּמַתְחִיל מֵהַתְחָלָה.[3] وأبدأ من البداية)

الأمر الذى دفع بـ"جادى" ليرى وكأنه يبدأ من البداية أو من المهد.

غياب العدالة والمساواة

عانى الفلاشا من عدم المساواة بينهم وبين سائر اليهود داخل المجتمع الإسرائيلى وهو ما عبر عنه "جادى" فى قصيدة "جهل". فهو يرى أن أى إنسان له حقوق لأن الجميع متساوون:

אָדָם כְּאָדָם בַּעַל זְכֻיּוֹת الإنسان كإنسان له حقوق

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 24
[2] שם, עמ' 24
[3] שם, עמ' 34

אָדָם כְּשָׁוֶה בֵּין שָׁוִים.[1] الإنسان مماثل بين الأقران

فلا فرق بين الإنسان وأخيه، فكل له حقوق والجميع يتساوى فى هذه الحقوق.

ويشبه المجتمع بالبازل[2] الذى يتكون من قطع كثيرة هى أفراد هذا المجتمع، ومن لا يجد مكانه فى هذا البازل يصبح كقطرة ماء فى محيط:

אָדָם כְּחֵלֶק מַרְכִּיב שֶׁל פַּזְל, שֶׁל חֶבְרָה (الإنسان كجزء بازل، فى المجتمع

לֹא מוֹצֵא אֶת מְקוֹמוֹ בַּפַּזְל. لا يجد مكانه فى البازل.

הוּא כְּטִיפַּת מַיִם בָּאוֹקְיָנוּס.[3] فهو كقطرة ماء فى المحيط.)

ومن أجمل ما عبر به عن الوضع الفلاشى داخل المجتمع الإسرائيلى تشبيهه للفلاشى بقطرة ماء فى محيط- إشارة إلى المجتمع الإسرائيلى- لكن هذه القطرة الفلاشية تظل محتفظة بشكلها دون الانصهار مع قطرات الماء التى لاحصر لها والتى يتكون منها ذلك المحيط:

לֹא זוֹרֵם עִם הַזֶּרֶם لا يتدفق مع التيار

וְנִשְׁאָר טִפָּה בּוֹלֶטֶת בָּאֶמְצַע וּמְסֻמָּנֶת.[4] ويظل قطرة بارزة فى الوسط وذات علامة)

وربما يدل هذا التشبيه على نبذ هذا المجتمع المتمثل فى صورة المحيط لتلك القطرة.

لكن "جادى يفرقان" يصل إلى سبب آخر لذلك الوضع السئ الذى يعيشه الفلاشا داخل المجتمع الإسرائيلى وهو جهل هذا المجتمع:

בְּמַחֲשָׁבָה שֶׁל עֶלְיוֹנוּת הַסְּבִיבָה עָלָיו

בְּמַחֲשָׁבָה שֶׁל אֲנִי יוֹדֵעַ מַה טּוֹב לְךָ

בְּגָלַל בּוּרוּתָם שֶׁל אֲנָשִׁים

בַּפַּזְל לֹא רָאוּ תְּמוּנָה מֻשְׁלֶמֶת

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 26
[2] البازل هو لعبة لغز الصور
[3] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 26
[4] שם, עמ' 26

בָּאוֹקְיָנוּס רָאוּ מֵרָחוֹק טֶפֶה בּוֹלֶטֶת וּמְסֻמֶּנֶת.[1]

(بفكر تفوق المجتمع عليه

بفكر أنا أعرف ما هو خير لك

بسبب جهل البشر

فى البازل لم يروا صورة مكتملة

فى المحيط رأوا عن بعد قطرة بارزة وذات علامة)

فهذا المجتمع الجديد يشعر بالارتقاء على الفلاشا والتفوق عليهم، مما دفعه لتشكيل حياة لفلاشا فى محاولة لإلغاء هذا الكيان الفلاشى الذى من حقه التعبير عن ذاته وعن احتياجاته.

ويعود "جادى" مؤكداً على هذا الجهل مرة أخرى مضيفاً إليه تلك الحماقة التى تجتاح العالم المحيط به:

בּוּרוּת חַיָּה בָּעוֹלָמֵנוּ

עֲטוּפָה בְּטִפְּשׁוּת וְהוֹרֶסֶת שִׁוְיוֹן בֵּין בְּנֵי הָאָדָם

בִּגְלַל עָמְקָהּ וּבִגְלַל מַחֲשָׁבָה לְקוּיָה

ב ו ר ו ת.[2]

(عاش الجهل فى عالمنا

متسربلاً بالحماقة ويحطم المساواة بين البشر

بسبب غوره وبسبب الفكر المريض

جهل)

فرغم أنه من المعروف التقدم الثقافى فى إسرائيل إلا أن الفلاشا يرونها تتسم بالجهل طالما أنها لا تعرف ثقافة المساواة ولا ترغب فى سماع الآخر.

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 26

[2] שם, עמ' 26

كما أن هذه الأشعار تلعب دوراً فى عكسها بدقة فن ثقافة الاستيعاب الإسرائيلى وجهله الشره الذى لا يعرف شبع.[1]

ولم يقتصر الأمر على عدم المساواة بين اليهودى من أصل إثيوبى أو الفلاشى وبين اليهودى من أى أصل آخر. فالفلاشى مضطهد، حيث يستحل اليهودى الآخر دمه. وهو ما يعبر عنه "جادى" فى قصيدة "ظلام وسط النور":

אֵיךְ אָת דַּם אַחֶיךָ תִּשְׁפּוֹךְ	(كيف تسفك دم أخيك
אֵיךְ אָת עוֹר אַחֶיךָ תִּקְלוֹף.	كيف تنزع جلد أخيك
אוֹי, אֵיךְ שֶׁזֶּה כּוֹאֵב	آه كم هذا مؤلم
אָת שְׁאֵרִית דָּמִי אָשָׂא בְּגוּפִי	أحمل فى جسدى آخر دمى
וְאוֹי לָכֶם אַתֶּם שֶׁאֲסַפֵּר זאת לְאָבִי.	وآه لكم أن أحكى ذلك لأبى.
אוֹי.[2]	آه)

فالشاعر يوجه سؤاله لليهودى كيف يقتل أخاه مستحلاً دمه، بل ليس القتل وحده فهو أيضاً يعذب أخاه اليهودى بنزع جلده- ويقصد "جادى" هنا بالجلد إجبار الفلاشى على التخلى عن ماضيهم وهو بمثابة نزع جلدهم القديم متنصلين من أصلهم ليتسربلوا بجلد إسرائيلى جديد- وكم يؤلم هذا الفلاشى، فالتخلى عن الماضى مؤلم كإيلام نزع لجلد.

وتأتى تأوهات "جادى" هنا ليس فقط من هذا الألم الجسدى بل والنفسى أيضاً، فهذه الصدمة النفسية التى لاقاها الفلاشى بوصوله لإسرائيل مخجلة لدرجة أنه يخشى أن تصل إلى مسامع أبيه، هذا الجيل القديم الذى لم يحظ بالوصول إلى إسرائيل وتحقيق أمانيه التى كانت ستتحطم أيضاً على أرض الواقع فى حال بلوغها.

ويكرر المعنى نفسه فى قصيدة "دم يهودى يصرخ":

דָּם יְהוּדִי זוֹרֵם לוֹ בִּמְדִינַת הַיְּהוּדִים	(دم يهودى يتدفق فى دولة اليهود
דָּם יְהוּדִי נִשְׁפָּךְ לוֹ בִּמְדִינַת הַיְּהוּדִים	دم يهودى أريق فى دولة اليهود

[1] הרצוג, עמרי. נרתמים למען ציון והופכים לחילים. הארץ, תרבות וספרות,28 בנובמבר 2003, עמ' ה 4.
[2] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 27

דָּם יְהוּדִי נִתָּז בְּקַצְווֹת יִשְׂרָאֵל.[1] دم يهودى يقطر فى أطراف إسرائيل)

فقد سفك الدم اليهودى فى إسرائيل دولة اليهود، وهذا عجب العجاب بالنسبة للفلاشى الذى ظل محافظاً على يهوديته التى تأمره بعدم سفك دم أخيه.

وكان هذا الدم مصحوباً بدوى صراخ اليهودى فى إسرائيل:

וּבְכָל יִשְׂרָאֵל שָׁרְרָה דְמָמָה ودوى الصمت فى إسرائيل كلها

חוּץ מֵאוֹתָם יְהוּדִים אֲשֶׁר عدا هؤلاء اليهود الذين

זָעֲקָה נַפְשָׁם שָׁמַיְמָה صرخت أنفسهم صوب السماء

וְקוֹלָם הִדְהֵד בְּכָל קַצְווֹת תֵּבֵל.[2] ودوى صوتهم فى كل أطراف العالم.

فرغم الصمت الذى يخيم على إسرائيل وسكانها إلا أن هناك دوى صراخ يهودى يعلو وسط هذا الصمت حتى بلغ عنان السماء، فى إشارة إلى مدى شدة هذه الصرخات.

والأجمل تشبيه "جادى" لهذه الصرخات اليهودية التى تدوى فى إسرائيل بتلك التى سبقتها فى العصور الوسطى على يد الألمان:

לֹא מִזְּמַן זָעֲקָה נֶפֶשׁ יְהוּדִי (صرخت روح يهودى ليس منذ زمن بعيد

בִּרְחוֹבוֹת גֶּרְמַנְיָה. فى طرقات ألمانيا

לֹא חָלְפוּ דּוֹרוֹת מֵאָז שָׁנְפְשׁ יְהוּדִי لم تمض أجيال منذ روح يهودى

עָלְתָה כָּלִיל בַּאֲרֻבּוֹת אוֹשְׁוִיץ.[3] علت برمتها فى مداخن أوشفيتس)

"لم تغب مكانة أحداث النازية عن هذه المجموعة الشعرية كممثل للتسلسل السياسى لانتحاب اليهود المسلوبين"[4]. فلطالما اشتكى اليهود مما يطلقون عليه "المحرقة" التى تعرض لها اليهود على يد النازية فى ألمانيا. وهو تأكيد آخر على رؤية "جادى يفرقان" الصهيونية.

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 28

[2] שם, עמ' 28

[3] שם, עמ' 28

[4] הרצוג, עמרי. נרתמים למען ציון והופכים לחילים. הארץ, תרבות וספרות,28 בנובמבר 2003, עמ' ה 4.

لكن "جادى" هنا يأتى بصورة أخرى لعذاب الفلاشى، حيث يتعجب من تعذيبه على يد أخيه اليهودى:

וְהִנֵּה הַיּוֹם שׁוּב זוֹעֶקֶת נֶפֶשׁ יְהוּדִי	(وها هى اليوم روح يهودية تصرخ
בִּרְחוֹבוֹת יִשְׂרָאֵל.	فى طرقات إسرائيل
וְהִנֵּה שׁוּב יְהוּדִים בַּפְּנָה	وها هم مرة أخرى يهود فى المنعطفات
מִתְפַּלְּלִים וְקוֹרְאִים תְּפִלַּת "שְׁמַע"[1]	يصلون ويقرأون صلاة "اسمع"[2])

ويتعجب "جادى" من هذه الفعلة الشنعاء مستشهداً بالتوراة:

לָמָּה יִשְׂרָאֵל? לָמָּה?	((لماذا يا إسرائيل؟ لماذا؟
"רָשָׁע לָמָּה תַּכֶּה רֵעֶךָ".[3]	("يا مذنب لماذا تضرب صاحبك"[4].)

وقد يكون اقتباسه للبيت الثانى من التوراة أوقع فى إبداء تعجبه. فها هى التوراة التى يؤمن بها بنو إسرائيل تنهى عن هذه الفعلة الشنعاء.

تبدد الآمال وشيوع اليأس

كان لهذه الأشعار دور فى رسم الواقع السياسى الأليم فى إسرائيل من وجهة نظر الفلاشا. فهى تعبر عن أمل الفلاشا فى تغير ذلك الواقع الأليم إلى ما هو أفضل حيث المساواة والذود عن الوطن كتفاً إلى كتف. فـ "جادى" يحلم بصهيون أخرى غير التى وجدها. صهيون يذوب فيها كل يهود العالم ويذودون عنها.

فلطالما راود الفلاشا الحلم بأرض صهيون التى ورد ذكرها فى العهد القديم حتى تحقق فى قصيدة "حلم صهيون":

הִגְשַׁמְתִּי לִי חֲלוֹם יַלְדוּת	(حققت حلم الطفولة
אוּלַי גַּם חֲלוֹם חַיַּי הוּא	ربما أيضاً حلم حياتى
חֲלוֹם שֶׁל צִיּוֹנִי, חֲלוֹם שֶׁל יְהוּדִי	حلم صهيونى، حلم يهودى

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 28

[2] وهى كناية عن الفصول الثلاثة فى التوراة:التثنية6-4،9، التثنية 13،11-21، سفر العدد 37،16-41 التى تتضمن أسس عقيدة التوحيد اليهودية والتى تتلى فى صلاة الصبح والمغرب

[3] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 28

[4] خروج 2-13

מֵהַגִּיל הָרַך חָלַמְתִי עַל צִיּוֹן منذ نعومة أظافرى وأنا أحلم بصهيون

חֲנַכְתִי עַל צִיּוֹן גָּדַלְתִי עַל צִיּוֹן تلقيت تعليمى عن صهيون وكبرت على صهيون

וְהִנֵּה הִגְשַׁמְתִי לִי חֲלוֹם וַאֲנִי בְּצִיּוֹן.[1] وها أنا ذا أحقق حلم وأنا فى صهيون.)

فمنذ النشأة والفلاشى يتلقى تعليمه عن صهيون حتى أصبحت حلم حياته الذى يبغى تحقيقه. وفى هذا إشارة إلى التعليم الدينى الذى كان يتلقاه الفلاشا فى إسرائيل. فهذا ما كان يفعله اليهود فى إثيوبيا حيث كانوا يغرسون فى هذه العقول الصغيرة سهلة التشكيل فكرة صهيون وأرض الميعاد حتى يكبر الفلاشى على حبه لصهيون ورغبته فى تحقيق حلم الطفولة وهو العيش فى صهيون والذود عنها.

لكن بعد تحقق الحلم وجد الشاعر نفسه يحلم من جديد بصهيون أخرى غير التى وجد نفسه فيها، تلك التى وردت فى العهد القديم:

חוֹלֵם חֲלוֹם מֻחָדָש

לִרְאוֹת אֶת צִיּוֹן שְׁלֵמָה

יָפָה כְּקַדְמוּתָהּ

כַּמְתוֹאֶרֶת בְּסֵפֶר הַסְּפָרִים

לִרְאוֹת אֶת צִיּוֹן כִּמְדִינַת הַצִּיּוֹנִים

וְאֶת יְהוּדֵי הָעוֹלָם הוֹפְכִים לְצִיּוֹנִים

וְנִרְתָּמִים לְמַעַן צִיּוֹן וְהוֹפְכִים לְחַיָּלִים.[2]

(أحلم حلماً من جديد

لأرى صهيون كاملة

جميلة كالسالفة

كالموصوفة فى العهد القديم

لأرى صهيون كدولة الصهاينة

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 29

[2] שם, עמ' 29

يهود العالم يتحولون إلى صهاينة
ومرتبطين بكل جوارحهم بصهيون ويتحولون إلى جنود)
كثير من أشعار هذا الديوان تعبر عن التوق إلى قبولهم حتى لو عن طريق الاستيعاب الكامل للقيم القومية وهو ما تعبر عنه الأبيات السابقة.[1]
فبعد وصول الفلاشا إلى إسرائيل وجدوا أن هناك فرقاً كبيراً بين صهيون التى وجدوا أنفسهم يعيشون فيها وبين تلك التى وردت فى العهد القديم والتى غُرست فى عقولهم منذ نعومة أظافرهم. كما وجدوا أنفسهم يأنفون العيش فى صهيون التى وجدوها على أرض الواقع حالمين بالعيش فى الأخرى التى طالما راودتهم فى أحلامهم.
والحلم نفسه الذى طالما راود اليهود هو القدس التى طالما هنأوا بعضهم فى عيد هاسيجد داعين لبعضهم البعض أن يكون العام القادم فى القدس فى قصيدة "سيجد"

שָׁם הַרְחֵק מִכָּאן בְּאַפְרִיקָה
בְּמְרוֹמֵי הֶהָרִים שֶׁל אֶתְיוֹפְיָה
הִנְצִיחוּ אֶת הַ"סֶגֶד" נֶאֱמָנֵי צִיּוֹן יְהוּדֵי אֶתְיוֹפְיָה
הִבִּיעוּ תְּפִלָּה "בַּשָּׁנָה הַבָּאָה בִּירוּשָׁלַיִם הַבְּנוּיָה"[2]
(هناك بعيداً عن هنا فى أفريقيا
فوق قمم جبال إثيوبيا
أحيا أمناء صهيون يهود أثيوبيا "هاسيجد"
رددوا دعاء "العام القادم فى القدس العامرة")

لكن بعد تحقق دعوة الفلاشا بوصولهم إلى القدس ظلوا يقيمون عيد هاسيجد:

אָז בִּמְרוֹמֵי הֶהָרִים שֶׁל אֶתְיוֹפְיָה (أنذاك فوق قمم جبال إثيوبيا
הַיּוֹם בִּמְרוֹמֵי הֶהָרִים שֶׁל יְרוּשָׁלַיִם הַקְּדוֹשָׁהاليوم فوق قمم جبال القدس المقدسة
אָז לָבְשׁוּ בְּצִבְעֵי הֶחָלָב أنذاك اكتسوا باللون الأبيض

[1] הרצוג, עמרי. נרתמים למען ציון והופכים לחילים. הארץ, תרבות וספרות,28 בנובמבר 2003, עמ' ה 4.
[2] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 30

הַיּוֹם בְּמִגְוָון צְבָעִים	اليوم اكتسوا بخليط من الألوان
בְּבִירַת מַלְכֵּנוּ דָּוִד נַנְצִיחַ לָעַד אֶת חַגֵּנוּ הַ"סֶּגֶד"[1]	فى عاصمة ملكنا داوود سنحيى للأبد عيدنا "هاسيجد")

وربما يكون ذلك تعبيراً عن التمسك بماضيهم أو إحساسهم بأن تلك الدعوة التى كانوا يدعونها لبعضهم البعض خلال هذا العيد لم تتحقق. كما نجد أن جادى يعقد مقارنة بين ما كان عليه حال هذا العيد فى إثوبيا وما هو عليه الآن فى إسرائيل. ففى إثيوبيا كانوا يقيمونه فوق قمم الجبال وهو ما لم يتغير فى إسرائيل حيث يقيمونه فوق قمم جبال القدس، لكن فى إثيوبيا كان الجميع يرتدون زياً واحداً اتسم بالبياض، أما فى إسرائيل فقد اختلف الأمر وأصبح هاسيجد يتسم بخليط من ألوان يهود إثيوبيا. وربما يدل ذلك على توحدهم فى إثيوبيا أما اليوم وفى إسرائيل فقد تبدل الأمر ولم يعد الفلاشا كسابق عهدهم فقد بدأوا يتيهون داخل المجتمع ولم يعد هناك ما يميزهم فى سعى منهم للانصهار داخل المجتمع.

وداع البراءة

بعد ما لاقاه الفلاشا فى إسرائيل وجد "جادى يفرقان" أنه لابد من التنصل من الماضى متمثلاً فى صوة تلك السذاجة والبراءة التى قدم بها الفلاشا لإسرائيل حتى يمكنهم التعايش مع ذلك المجتمع الجديد وهو ما ذكره فى قصيدة "سلام للسذاجة":

שָׁלוֹם לַתְּמִימוּת שֶׁבִּי	(سلام للسذاجة التى بداخلى
לֹא אוּכַל עוֹד לָשֵׂאת אוֹתָךְ	لن استطع تحملك بعد ذلك
לֹא אוּכַל עוֹד לְהִתְגָּאוֹת בָּךְ.	لن استطع التباهى بك بعد ذلك
לֹא אוּכַל לְהַצִּיג אוֹתָךְ עוֹד	لن استطع أن أقدمك بعد ذلك
כְּדָבָר מֻשְׁלָם וְיָפֶה[2]	كشىء مكتمل وجميل)

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 31
[2] שם, עמ' 23

فهو يرى أن هذه السذاجة لم تعد بالشيء الذى يفتخر به داخل هذا المجتمع. ويذكر السبب فى ذلك وهو:

כִּי לְעִתִּים הַתְּמִימוּת (لأن أحياناً السذاجة

הוֹפֶכֶת לְחִסָּרוֹן וְהַיּוֹפִי הוֹפֵךְ לְכִעוּר.[1] تتحول إلى نقص والجمال يتحول إلى قبح)

فهذه السذاجة ربما يراها يهود إسرائيل على أنها نقص فى الفلاشى.

هناك أيضاً ما هو مثير للاهتمام بين أبيات هذه القصيدة والتى تؤكد على قسوة الاستيعاب والتلاعب به.[2] فـ"جادى" يرى أن هذه البراءة أو السذاجة هى السبب فى بقائه فى مكانه فهو كالذى يسير فى مكانه دون حلم ولازال ذلك الطفل القروى:

בִּגְלַל הַתְּמִימוּת צָעַדְתִּי בַּמָּקוֹם (بسبب السذاجة سرت فى مكانى

בִּגְלַל הַתְּמִימוּת נִשְׁאַרְתִּי לְלֹא חֲלוֹם بسبب السذاجة ظللت بلا حلم

בִּגְלַל הַתְּמִימוּת נִשְׁאַרְתִּי אוֹתוֹ יֶלֶד מֵהַכְּפָר[3] بسبب السذاجة ظللت ذلك الولد من القرية)

فالسذاجة ليست من بين القيم الإسرائيلية بل هى إرث من لا حقوق لهم لذلك يجب التخلى عنها.[4]

وهو تعبير جميل من "جادى" حيث يرى أن الفلاشى يسعى ويسعى مجتهداً ليتأقلم مع هذا الواقع الجديد لكنه كمن يسير فى مكانه دون جدوى بسبب تلك السذاجة التى تقف عائقاً أمام قدميه وتشل حركته رغم جهده لتخطيها.

الحنين إلى الماضى

كل ما لاقاه الفلاشا داخل المجتمع الإسرائيلى دفع بهم إلى الحنين إلى الماضى وقد عبر "جادى يفرقان" عن ذلك فى ثلاث قصائد هى "أشواق" و"طفولة جميلة" و"أخت غالية".

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 23

[2] הרצוג, עמרי. נרתמים למען ציון והופכים לחילים. הארץ, תרבות וספרות,28 בנובמבר 2003, עמ' ה 4.

[3] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 23

[4] הרצוג, עמרי. נרתמים למען ציון והופכים לחילים. הארץ, תרבות וספרות,28 בנובמבר 2003, עמ' ה 4.

حيث الشوق إلى الدفء الأسرى فى القصيدة الأولى "أشواق"، والمتمثل فى أفراد الأسرة الذين فقدهم الشاعر فى الطريق لإسرائيل:

לוּ יָכלְתְּ לְדַבֵּר כְּמוֹ שֶׁאַתְּה שוֹמֵעַ (لو كان يمكنك أن تتحدث مثلما أنك تسمع

הָיִיתְ מְסַפֵּר לִי סִפּוּרִים لكنت حكيت لى حكايات

עַל הַתְּקוּפוֹת שֶׁהָיוּ עוֹד לִפְנֵי שֶׁנּוֹלַדְתִּי.[1] عن العهود التى كانت قبل أن أولد)

كذلك قصيدة "طفولة جميلة" حيث الحنين إلى تلك الطفولة الجميلة التى عاشها الشاعر فى إثيوبيا:

יַלְדוּת יָפָה הָיְתָה לִי (كان لى طفولة جميلة

יַלדוּת שֶׁלֹּא כֻּלָּם בּוֹרְכוּ בָּהּ.[2] طفولة لم يحظ بها الجميع)

ونرى أن "جادى" يشير إلى أن إثيوبيا هى جنة الرب:

גָּדַלְתִּי בְּגַנּוֹ הַפְּרָטִי שֶׁל הָאֵל (كبرت فى جنة الرب الخاصة

בְּגַנּוֹ לְלֹא גַּנָּן שֶׁיְּטַפֵּל בּוֹ. فى جنته دون بستانى يعتنى بها

גַּנּוֹ הָיָה שַׁיָּךְ לִי וְרַק לִי. جنته كانت تخصنى وحدى

בְּגַנּוֹ שֶׁל הָאֵל הָיָה הַכֹּל. فى جنة الرب كان هناك كل شىء

מְרְחֲצָאוֹתַי הָיוּ הַמַּפָּלִים וְהַנְּהָרוֹת كانت حماماتى الشلالات والأنهار

וּמְזוֹנִי הָיָה מִן הַפֵּרוֹת הַמֻּבְחָרִים.[3] وغذائى كان من خيرة الثمار)

فرغم حلمه بالوصول إلى إسرائيل، شأنه فى ذلك شأن الفلاشا، إلا أنه يرى أنه ليس هناك وجه للمقارنة فإثيوبيا هى جنة الرب الطبيعية التى لا تحتاج إلى من يعتنى بها- وكأن العناية الإلهية هى التى تبقى على جمالها. ثم يصف بعض جمال هذه الجنة حيث الشلالات والأنهار وخير الثمار. وحقاً فإن إثيوبيا تمتاز بشلالاتها حيث الجبال والأنهار ففيها منابع النيل.

كما يمتدح "جادى" تعليمه التوراتى الذى تلقاه فى إثيوبيا:

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 32

[2] שם, עמ' 33

[3] שם, עמ' 33

וּמֵעַל הַכֹּל הָיָה חִנּוּכִי (وفوق كل شيء كان تعليمى

מִדַּפֵּי הָאֵל וְתוֹרָתוֹ.[1] من صفحات الرب وتوراته)

إلا أن هذه الطفولة الجميلة أصبحت كحلم مشتت مثل السحاب المنتشر:

יַלְדוּת יָפָה שֶׁעַכְשָׁיו נִרְאֵית (طفولة جميلة والتى تبدو الآن

כַּחֲלוֹם מִתְפּוֹגֵג כְּעָנָן מִתְפַּזֵּר.[2] كحلم يتبدد كسحاب ينتشر)

وكأن إسرائيل وتحقيق حلم الطفولة هما السبب وراء ضياع ذكريات الطفولة الجميلة.

ويختتم جادى يفرقان مجموعته هذه بما يؤكد فكرة الحنين إلى الماضى والذى يصحبه ألم فراق الأهل وهو الشىء الذى بقى للفلاشا فى إسرائيل، فهذا الوطن الجديد يستطع أن يسرى عن الفلاشا بحيث يجعلهم ينسون فراق الأهل. ففى قصيدة "أخت غالية" يتذكر أخته التى فقدها منتحباً لفراقها:

אֲחוֹתִי יְקָרָה אֵלַיִךְ אֲנִי מִתְגַּעְגֵּעַ

אֲחוֹתִי יְקָרָה מְגֵרָתִי מְלֵאָה בְּמִכְתָּבִים שֶׁאֵלַיִךְ כָּתַבְתִּי

לֹא יָדַעְתִּי לְאָן לִשְׁלוֹחַ אוֹתָם אֲחוֹתִי.[3]

(أختى العزيزة أشتاق إليك

أختى العزيزة درجى مملوء بالرسائل التى كتبتها إليك

لم أعرف إلى أين أرسلهم يا أختاه)

غير أن هذه الأخت التى فقدها الشاعر ليست بأخت فقط بل هى أم لأبناء صغار تركتهم أمانة للشاعر. فأبناء هذه الأم التى فقدوها يسألون عنها:

שׁוֹאֲלִים אוֹתָהּ שְׁאֵלָה פְּעָמִים רַבּוֹת.

אֵפֹה אִמָּא שָׁאֲלָה בְּתֵךְ הַקְּטַנָּה

הִיא צוֹדֶקֶת אָמַר אָחִיהָ הַגָּדוֹל וְהִצְטָרֵף בִּשְׁאֵלָה.[4]

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 33

[2] שם, עמ' 33

[3] שם, עמ' 35

[4] שם, עמ' 35

(يسألون السؤال نفسه مرات عديدة

أين أمى سألت ابنتك الصغيرة

إنها على حق قال أخوها الكبير وانضم للسؤال)

لكن هذا الأخ يعد أخته بأن يظل على قسمه لها بالحفاظ على أبنائها:

הֲיִי שָׁלוֹם אָחוֹת יְקָרָה וְאִם אֲהוּבָה (كونى بخير يا أختى العزيزة والأم الحبيبة

עַל יְלָדַיִךְ אֶשְׁמוֹר בִּשְׁבוּעָה[1] سأحافظ على أبنائك بالقسم)

فالفلاشى إذا وعد أو أقسم فإن هذا القسم واجب الوفاء به ولا يمكن الحنث عنه حتى إذا كلفه ذلك حياته، على العكس مما هو الحال عليه فى إسرائيل.[2]

لكن من الملاحظ أن "جادى" عبر عن مشاعر التخلص من البراءة كما أتى بالنقيض التام وهو الحنين إلى الماضى وربما يدل ذلك على مدى اضطراب الفلاشا وتخبطهم فى إسرائيل بعد اصطدامهم بالواقع الأليم وتحطم أحلامهم على أرض الواقع. غير أن "جادى" تناول فكرة التنصل من الماضى فى قصيد واحدة أما الحنين إلى الماضى فقد عبر عنه من خلال قصائد ثلاث. ولربما يدل ذلك على أن الحنين إلى الماضى أشد وقعاً من التنصل منه عند "جادى".

آلام الحرب والأمل فى السلام

بعد وصول الفلاشى لإسرائيل واصطدامه بأرض الواقع أصبح هناك نوع آخر من المشاعر التى تجيش بداخله والتى كان من بينها ذكرى آليمة للحروب وأمل فى العيش بسلام. يوجه "جادى" خطابه للقدس فى قصيدة "اكشفى لى سرك" التى يفتتح بها مجموعته هذه. فهو يناجى القدس طالباً منها أن تكشف عن سرها متعجباً من رغبة كل الأديان فى العيش على أرضها، معبراً عن رغبته فى فدائها بروحه:

מַהוּ סוֹדֵךְ יְרוּשָׁלַיִם.

שָׁכָל הַדָּתוֹת בָּעוֹלָם רוֹצוֹת לִשְׁכוֹן בָּךְ יְרוּשָׁלַיִם.

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 35

[2] גדי בן עזר,כמו אור בכד–עלייתם וקליטתם של יהודי אתיופיה,ראובן מס' בע"ם, 1992, עמ' 14

מַהוּ סוֹדֵךְ יְרוּשָׁלַיִם אֲפִלּוּ אֲנִי מוּכָן לָמוּת לְמַעֲנֵךְ.[1]

(ما هو سرك يا قدس

كل أديان العالم ترغب فى سكناك يا قدس

ما هو سرك يا قدس حتى أننى على استعداد للموت من أجلك)

ولم يكن التعجب فقط من كون الأديان ترغب فى العيش على أرضها معاً فى سلام بل التعجب أيضاً من اختيار الرب لها:

גַּלִּי קְסוּמָה אֶת סוֹד הַדָּבָר

לַחֲשִׁי לִי בִּשְׁנָתִי אֶת קִיּוּמֵךְ לָנֶצַח נְצָחִים.

גַּלִּי לִי לָמָּה אַתְּ מִכָּל הֶעָרִים בָּךְ בָּחַר אֵל הָאֱלִים

גַּלִּי לִי אֶת סוֹדֵךְ יְרוּשָׁלַיִם[2]

افصحى أيتها الساحرة عن سر هذا الأمر

اهمسى لى فى نومى عن بقائك الأبدى

افصحى لى لماذا دون كل المدن اختارك الرب

افصحى لى عن سرك يا قدس)

لكن بعد تعجب جادى من اختيار الرب لهذه المدينة المقدسة وتعجبه من رغبة كل الأديان فى التعايش معاً على أرضها، يعدد صور برك الدماء التى تسيل على هذه الأرض المقدسة وكأن لسان حاله يقول الرب اختارها مدينة السلام والمقيمون على أرضها اختاروها لتكون بركة دماء. ونجد تلك الصور الدموية تتكرر فى عدة قصائد. ففى قصيدة "خذنى أيها الطائر الجميل"، يطلب من هذا الطائر الجميل الذى أنعم عليه الرب بالحرية أن يأخذه إلى مكان جميل يحمل فى طياته الحب بعيداً عن بركة الدماء التى تفيح برائحتها المقززة:

צִפּוֹר יָפָה הוֹשִׁיטִי לִי כְּנָפַיִם.

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 39

[2] שם, עמ' 39

הַרְחִיקִינִי מֵהַמָּקוֹם הַמְּכֻתָּם בְּדָם

הַרְאִי לִי אֶת הַדֶּרֶךְ אֶל אֶרֶץ הָאַהֲבוֹת.

צִפּוֹר יָפָה בַּת מַזָּל בַּעֲלַת כְּנָפַיִם חָפְשִׁיוֹת לָעַד

שַׁתְּפִי אוֹתִי בַּחוֹפֶשׁ קְחִי אוֹתִי לַשְּׁחָקִים

הַרְחֵק מִכָּאן מֵאֲנָשִׁים רָעִים

הַיּוֹדְעִים רַק שִׂנְאָה וְלֹא חַיִּים בְּאַהֲבָה.[1]

(أيها الطائر الجميل ابسط لى جناحيك

أبعدنى عن هذا المكان الموصوم بالدم

أرنى الطريق إلى أرض الحب

أيها الطائر الجميل ذو الحظ السعيد صاحب الجناحين الطليقين للأبد

أشركنى فى الحرية خذنى إلى سحب السماء

بعيداً عن هنا عن أناس السوء

الذين لا يعرفون سوى الكره ولا يعيشون فى حب.)

وفى قصيدة "عندما قال" يتحدث جادى يفرقان عن الرب وأوامره فكلما ذكر الرب شيئاً بحث جادى عن معنى هذا الشىء:

כְּשֶׁהוּא אָמַר "עַם סְגֻלָּה"	(عندما قال "شعباً أخص"[2]
חִפַּשְׂתִּי אֶת הַסְּגֻלָּה שֶׁבָּעָם.	بحثت تلك الخصوصية التى فى الشعب
כְּשֶׁהוּא אָמַר "אֶרֶץ זָבַת חָלָב וּדְבַשׁ"	عندما قال "أرض تفيض لبناً وعسلاً"[3]
חִפַּשְׂתִּי אֶת הָאָרֶץ זָבַת חָלָב וּדְבַשׁ.	بحثت عن تلك الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً
כְּשֶׁהוּא אָמַר "לְגוֹי גָּדוֹל"	عندما قال "أمة عظيمة"[4]

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 40

[2] تثنية 7- 6

[3] خروج 3- 8

[4] تكوين 12- 2

חִפַּשְׂתִּי אֶת הַגּוֹי הַגָּדוֹל.[1] بحثت عن تلك الأمة العظيمة)

وكأنه يتعجب بذلك من الصفات التنى وصف بها الرب هذا الشعب الذى اختاره، وقد يكون قد رمى بذلك إلى أن ذلك الشعب الذى يعيش فى إسرائيل لا تنطبق عليه الصفات التى ذكرها الرب عن شعبه المختار، تلك الصفات التى وردت فى التوراة.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى أمر الرب بعمل المذبح:

כְּשֶׁהוּא אָמַר "לֵךְ לְךָ" (عندما قال "اذهب"[2]

הָלַךְ הַגּוֹי הַגָּדוֹל הָלִיכָה. ذهبت الأمة العظيمة ذهاباً.

כְּשֶׁהוּא אָמַר "מִזְבֵּחַ לה'"[3] حينما قال "مذبحاً للرب"[4])

وطاعة للرب وتنفيذاً لأوامره تحولت هذه المدينة المقدسة إلى بركة دماء:

זָבַח הַגּוֹי הַגָּדוֹל וְהַסְּגֻלָּה אֶת עַצְמוֹ לַה'. (ذبح الشعب الكبير والمختار نفسه للرب

וְשָׂחָה בִּבְצַת דָּם עֲמֻקָּה وسبح فى بركة دم عميقة

בְּבִירַת הַשֵּׁם הַקְּדוֹשָׁה.[5] فى عاصمة الرب المقدسة)

وتصويراً لمدى عمق هذه البركة فقد صور اليهود يسبحون فيها. ولم تكن بركة الدماء هذه المرة إلا بسبب طاعة أمر الرب. وهذا يعنى أن يهود إسرائيل لا يجيدون تفسير أوامر الرب لهم أو أنهم يفسرونها حسب أهوائهم. وفى هذا تهكم وسخرية من يهود إسرائيل الذين لا يقيمون أوامر الرب لهم المتمثلة فى عدم قتل اليهودى لأخيه. وبالطبع فإن استشهاد "جادى" بالتوراة أشد وقعاً من تدوينه لأبيات تحمل نفس المعنى من مخيلته.

وتكمل قصيدة "من أجل ماذا؟" تلك الصورة الدموية لتلك المدينة المقدسة لكن هذه الدموية لم تنبع فيها بسبب طاعة أوامر الرب بل بسبب دموية البشر والرغبة فى القتال:

בִּשְׁבִיל מָה הַנֶּשֶׁק? (من أجل ماذا السلاح؟

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 42

[2] تكوين 12- 1

[3] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 42

[4] تكوين 12-7

[5] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 42

לָמָּה הַמִּלְחָמָה? لماذا الحرب؟

כְּשֶׁאֶפְשָׁר לִחְיוֹת בְּשָׁלוֹם וּבְאַהֲבָה. عندما يكون من الممكن العيش فى سلام وحب

לָמָּה לְהֵהָרֵג בִּשְׁבִיל מָה لماذا القتال من أجل ماذا

תַּגִּיד לִי לָמָּה?[1] أخبرنى لماذا؟)

فهو يتعجب هنا من الإنسان لماذا يرغب فى الحرب طالما أن هناك فرصة أمامه للعيش فى سلام!؟

لكن "جادى" يسعى هنا لإيقاظ هؤلاء الراغبين فى الحرب من غفوتهم هذه فيقول لهم إن من يقف أمامهم فى ساحة القتال إن هو إلا بشر مثلهم:

בְּמִלְחָמָה כְּמוֹ בְּמִלְחָמָה (فى الحرب كما هو الحال فى الحرب

נִלְחָם מוּלִי אָדָם כָּמוֹנִי[2] يحارب أمامى إنسانى مثلى)

إلا أن الحرب لا يتمخض عنها سوى القتلى الذين يسقطون فى ساحة القتال وحينئذ لن يعد هناك أهمية لمعرفة من الذى مات، المهم أن هناك قتلى من البشر:

שָׁרוֹצָה לִשְׁרוֹד אֲפִלּוּ לַהֲרוֹג.

כְּשֶׁהוֹרְגִים זֶה לֹא מְשַׁנֶּה מִי נֶהֱרָג.

מִישֶׁהוּ מֵת. וְזֶה לֹא מְשַׁנֶּה אִם זֶה אֲנִי אוֹ הוּא.

מֵת אָדָם בְּמִלְחָמָה אֲרוּרָה.[3]

(يريد أن ينجو ربما أن يقتل

حينما يقتلون لا يغير شىء من الذى قتل

من مات. وهذا لا يغير ما إذا كنت أنا أو هو

مات إنسان فى حرب لعينة)

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 43
[2] שם, עמ' 43
[3] שם, עמ' 43

الفقر

يقف الفقر فى رأى "جادى" وراء أى خارج على القانون وهو ما يعبر عنه فى قصيدة "الفقر" التى يقول فيها:

הָעוֹנִי הוּא מְקוֹר הַסֵּבֶל.	(الفقر هو مصدر العناء
הַסֵּבֶל הוּא תְּחִילָתָהּ שֶׁל הִתְמוֹטְטוּת.	العناء هو بداية الانهيار
הִתְמוֹטְטוּת הִיא הַדֶּרֶךְ אֶל עֲבֵרִינוּת.	الانهيار هو بداية الجنوح
עֲבֵרִינוּת הִיא עֲקִיפַת הַחוֹק.	الجنوح هو الخروج على القانون
הַחוֹק הוּא הַסֵּמֶל שֶׁל הַנּוֹרְמָה[1]	القانون هو رمز المعيار)

ونجد أنه أورد فى هذه الأبيات حلقة مفرغة تبدأ بالفقر ثم العناء الذى يؤدى إلى الانهيار الذى يؤدى بدوره إلى الجنوح ثم الخروج على القانون الذى يمثل الطبيعة. أى أن الفقر يؤدى إلى الخروج على القانون ليس بشكل مباشر لكنه يؤدى إلى أشياء تؤدى بدورها فى النهاية إلى الخروج على القانون. وفى هذا تلميح إلى أن الفقر الذى يعانيه الفلاشا فى إسرائيل نتيجة لتلك الأوضاع المتردية التى يعيشونها فى إسرائيل- رغماً عنهم- سيؤدى إلى خروجهم على القانون فى نهاية المطاف. وبهذا فإن :جادى" يوجه مسبقاً أصبع الاتهام إلى المجتمع الإسرائيلى محملاً إياه مسئولية ما سيقوم به الفلاشا من جرائم ضد المجتمع والمتمثلة فى الخروج على القانون.

غير أنه يتساءل عن سبب وجود الفقر فى عالم من المعايير:

אִם יֵשׁ נוֹרְמָה	(إذا كان يوجد معيار
לָמָּה יֵשׁ עוֹנִי	فلماذا يوجد الفقر
בְּעוֹלָם שֶׁל נוֹרְמוֹת?[2]	فى عالم من المعايير؟)

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 50
[2] שם, עמ' 50

طلب عون الرب

حملت قصيدة "دعاء" أدعية كثيرة حملها "جادى يفرقان" طالباً من الرب تحقيقها، من بينها أن يمنحه الرب القوة التى تساعده على تقبل هذا التغيير الذى حل بهم بعد وصولهم لإسرائيل:

תֵּן לִי אֶת הַכֹּחַ לְקַבֵּל אֶת הַשּׁוֹנָה.[1] (امنحنى القوة لتقبل الاختلاف)

وكان لهذه المجموعة الشعرية دور فى الكشف عن أن الوصف اللسانى المبتذل قد استوعب بمكر قيم العقيدة، وهو ما تمثله هذه القصيدة. كما أن هذا البيت يمس مثل هذا الاستيعاب.[2]

وفى هذا البيت نجد أن "جادى" يرى وكأن الوضع الحالى للفلاشا داخل إسرائيل صعب التحمل ولن يقدروا عليه إلا بقوة إلهية تساعدهم على تحمله.

كما يطلب من الرب أيضاً ألا يتخلى عنه حتى لا يفترسه من يكرهونه:

אֵלִי אֵלִי הִנֵּה תְּפִילָּתִי (إلهى هذا دعائى

אַל תַּשְׁאִירֵנִי לְבַדִּי لا تدعنى وحدى

אַל תִּתֵּן לְשׂוֹנְאַי לְטָרְפֵנִי لا تسمح لكارهى أن يفتكوا بى

אַל תַּשְׁלִיכֵנִי לְעֵת צָרָה.[3] لا تلق بى إلى وقت الشدة)

وفى هذا أيضاً تعبير عن مدى إحساس الفلاشا بكراهية يهود إسرائيل لهم.

وآخر ما يطلبه فى هذه القصيدة هو أن يكون الرب عوناً له على الاندماج داخل هذا المجتمع:

פְּתַח לִי אֶת שַׁעֲרֵי הַחַיִּים (افتح لى أبواب الحياة

תֵּן לִי שְׁבִיל שֶׁל הַדְּרָכָה. اعطنى سبيلاً للسير

תֵּן לִי הַרְבֵּה אֱמוּנָה[4] امنحنى الكثير من الإيمان)

---

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 57

[2] הרצוג, עמרי. נרתמים למען ציון והופכים לחילים. הארץ, תרבות וספרות,28 בנובמבר 2003, עמ' ה 4.

[3] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 57

[4] שם, עמ' 57

وفى النهاية فإن رد الشاعر على تلبية الرب مطالبه هو أنه سيكون عاجزاً عن الشكر:

וַאֲנִי לְךָ אָסִיר תּוֹדָה.[1] (وأنا أشكر فضلك على.)

ولم يقتصر الأمر على تناول جادى لمعاناة الفلاشا فقط بل ضمن مجموعته الثالثة والتى تحمل عنوان خواطر بعض تلك الخواطر الجميلة التى تجيش بها النفس مثل الحب والسعادة والحرية والربيع والسباق مع الزمن والحث على التخلى عن الكسل، واختتم ديوانه بقصيدة يتوجه فيها بالشكر للرب على نعمه التى أنعمها عليه.

وكما رأينا فقد ضمن جادى ديوانه ثلاث مجموعات متسلسلة من حيث ترتيب الأحداث. فالمجموعة الأولى تناولت الهجرة لإسرائيل ومعاناة الطريق. والمجموعة الثانية تناولت معاناة الاستيعاب داخل المجتمع الإسرائيلى والصدمة التى لاقاها الفلاشا بوصولهم لإسرائيل. أما المجموعة الثالثة والأخيرة فقد ضمنها ما يدور فى خلد الفلاشا من مشاعر، وختمها بتوجيه الشكر للرب، كنوع من الرضا بالواقع، والنظر إلى أن هناك الكثير من النعم التى تجعل الفلاشا يتغاضون عن تلك النقم التى حلت بهم.

الخاتمة

"جادى يفرقان" ذلك الفلاشى الشاب استطاع أن يسخر قلمه ليعبر عن آلام تلك الطائفة التى ينتمى إليها، وقد أصاب قلمه الهدف بتحديد مواطن ألم الفلاشا. فقد تناول "جادى" فى ديوانه "أبدأ من البداية" المعاناة الفلاشية أثناء الهجرة لإسرائيل والمعاناة الفلاشية بعد الهجرة لإسرائيل. هؤلاء الفلاشا الذين بذلت إسرائيل قصارى جهدها من أجل استقطابهم ودفعهم للخروج من إثيوبيا صوب إسرئيل، لم يجدوا من يمد لهم يد العون فى طريق الهجرة ولم يجدوا من يخفف عنهم عناء الطريق. لقد عانى الفلاشا الويلات فى طريقهم إلى إسرائيل. وقد تنوعت هذه الصعاب بين وعورة الطريق واللصوصية ونقص الزاد، الأمر الذى أزهق أرواح آلاف الفلاشا. وقد عبر "جادى" عن ذلك فى الجزء الأول من ديوانه والذى حمل عنوان "مشاق الطريق". أما الجزء الثانى من الديوان فقد

[1] גדי יברקן,מתחיל מהתחלה, עמ' 57

حمل عنوان "الاستيعاب" والذى انتقل "جادى" من خلاله إلى وصف معاناة الفلاشا بعد الهجرة لإسرائيل. فلقد اكتشف الفلاشا زيف الادعاء بأن إسرائيل تفيضاً عسلاً ولبناً. فكما عانى الفلاشا الويلات أثناء الهجرة، عانوا أيضا بعد الهجرة لإسرائيل حيث اللغة المغايرة للغة الأم التى عهدوها فى أثيوبيا، وتغيير الأسماء الذى درجت عليه إسرائيل، الأمر الذى أثار حفيظة الفلاشا ودفعهم إلى التعجب من ذلك متسائلين عن اسمهم الحقيقى لماذا ينادون بغيره؟ ولمن يقولون إن لديهم اسم دعوا به منذ المولد؟ كذلك إشكالية الاستيعاب فى إسرائيل، فقد نفر يهود إسرائيل من الفلاشا ووجد الفلاشا أنفسهم فى عزلة عمن حولهم. وكان وقع هذه الصدمة مريراً على نفوس الفلاشا والتى ولدت لديهم مشاعر الاغتراب والشعور بالعنصرية وغياب العدالة والمساواة، الأمر الذى دفع بـ"جادى" إلى التعبير عن تبدد آمال الفلاشا وشعورهم باليأس. أفضى ذلك إلى انتقال المرحلة الثالثة والأخيرة من ديوانه وهى تلك الخواطر التى عبر خلالها عن حنين الفلاشا إلى الماضى والرغبة فى السلام. وختاماً لا يجد "جادى" بد من طلب العون من الرب الذى لا يقدر سواه على معاونة الفلاشا فى محنتهم الجديدة وعلى تحملهم وتقبلهم لذلك التغيير الذى حل بهم بعد وصولهم لإسرائيل.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

* גדי יברקן, מתחיל מהתחלה, תל-אביב, 2003

ثانياً: المراجع

ـ العربية

* زاهر رياض، تاريخ إثيوبيا، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966
* د.زين العابدين محمود أبو خضرة، صورة مصر فى الأدب العبرى الحديث، القاهرة، 2003
* ----------، تاريخ الأدب العبرى الحديث، القاهرة، 2006
* صلاح عبد اللطيف، الفلاشا– الخيانة والمحاكمة، القاهرة، مكتبة مدبولى، 1986
* د.عبد الوهاب المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثانى
* د.محمد جلاء إدريس، يهود الفلاشا– أصولهم ومعتقداتهم وعلاقاتهم بإسرائيل، القاهرة، مكتبة مدبولى، 1993
* د.محمد حافظ يعقوب، الذاكرة والإقتلاع- فالاشا إثيوبيا التاريخ الأسطورة والمنفى، عكا، مؤسسة الأسوار، 1999
* مريم جمال الدين فوزى، يهود الفلاشا فى القص العبرى الحديث، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2005

ـ العبرية

* אריאל אריאלי–גילת יצחק–צפפה אייצק,התאבדות יהודי אתיופיה:סקר אוטופסיה פסיכולוגית "הרפואה", 127,ג-ד(אוגוסט 1994)
* גד שמרון,הביאו לי את יהודי אתיופיה,ישראל,הד ארצי,1998

* גדי בן עזר, כמו אור בכד– עלייתם וקליטתם של יהודי אתיופיה ירושלים, ראובן מס' בע"ם, 1992
* הרצוג, עמרי. נרתמים למען ציון והופכים לחילים. הארץ, תרבות וספרות,28 בנובמבר 2003, עמ' ה 4.
* חגי ארליך- הגר סלמון– וסטיבן קפלן, אתיופיה– נצרות אסלאם יהדות האוניברסיטה הפתוחה, 2003
* מיכאל קורינאלדי, יהדות אתיופיה זהות ומסורת, ירושלים, ראובן מס בע"ם, 1988
* מלכה שבתאי, בין רגאיי לראפ– אתגר ההשתייכות של נוער יוצא אתיופיה בישראל, תל– אביב, צ'ריקובר, 2001
* מנחם ולדמן, יהודי אתיופיה–עדת"ביתא ישראל",ירושלים,ג'וינט ישראל,1985
* מנחם ולדמן, מאתיופיה לירושלים– יהודי אתיופיה בעת החדשה, ירושלים, משרד החינוך והתרבות, 1992
* קמון ע' (עורך), הגשר הראשון– עדותם של חניכים יהודים יוצאי אתיופיה מכפר בתיה, ירושלים, יד טבנקין, 1996
* רבקה איזיקוביץ',על גבולות תרבותיים וביניהם:עולים צעירים בישראל, ירושלים,רמות–אוניברסיטה –תל–אביב